العلامة: محمد اسماعيل الشهيد

تطهير الإيمان من مداخل الشيطان

تعريب: عبد الوحيد الرحمانى

العلامة محمد إسماعيل الشهيد

تطهير الإيمان

من مداخل الشيطان

العلامة محمد اسماعيل الشهيد (رحمه الله)

تطهير الإيمان من مداخل الشيطان

تعريب

الأستاذ عبد الوحيد الرحماني
المدرس بالجامعة السلفية بنارس

دار الصحوة
للنشر والتوزيع بالقاهرة

فهرس تطهير الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

تعـــريف

بعلم من أعلام الهند :

المجاهد الكبير محمـــد اســـماعيل الشهيد رحمه الله

(١١٩٣ ــ ١٢٤٦هـ)

بقلم الدكتور / مقتـــدى حسن محمد ياسين

وكيل الجامعة السلفية ببنارس بالهند

إن التوحيد عقيدة أساسية فى الإسلام ، وهو راس العبادات وسر قوة المسلم ، ولذلك نرى القرآن قد بالغ فى توضيح هذه النقطة وركز عليها تركيزاً تاماً . ولم تكن الحروب والمغازى التى خاضها النبى عليه السلام وأصحابه إلا لحماية التوحيد ، وللقضاء على الشرك وعبادة الأصنام .

والمسلمون كانوا متمسكين بأصول التوحيد ، محافظين على مظاهره وأسراره فى العصور الأولى . فلما اتسعت رقعة الإسلام ودخلت شعوب العجم فى الدين ، تكدر نبع التوحيد الصافى وذهب

رونقه وبهاؤه ، لأن الشعوب التى اعتنقت الإسلام فى بلاد العجم لم تكن بعد متخلية عن بقايا الشرك وتقديس العادات الجاهلية . فقد أسلموا وفى رؤوسهم تفكير غير إسلامى ، وفى نفوسهم ميل وتطلع إلى العادات والتقاليد القديمة التى كانوا يمارسونها وهم كافرون . ومن هنا نرى هذه الشعوب قد عادت بعد قليل إلى عبادة الزعماء والمرشدين وتقديس القبور ومقامات الصالحين . وانتشرت فيهم البدع والخرافات ، وابتعدوا تماما عن روح الدين القويم .

ولمحاربة هذه البدع والعادات ، وحماية التوحيد الإسلامى قامت طائفة من أهل الحق ، تذود عن الإسلام وتوجه الناس إلى سواء السبيل . وكانت هذه الطائفة تبذل جهودها وتقدم تضحياتها فى كل عصر ومصر ، بدون ضعف ومداهنة . وكان العلماء الذين انضموا إلى هذه الطائفة المقدسة خير مثال للعمل الجاد ، والإيمان الثابت، والتضحية العظمى ، والجهاد المقدس، والشعور بالمسئولية . إنهم قد واجهوا المصاعب واعترضت سبيلهم العقبات ، ولكنهم ما استكانوا ، بل صمدوا وجاهدوا أداء لواجبهم نحو الدين الإسلامى الذى آمنوا به . وكل ما نراه الآن من مظاهر انتشار التوحيد وكساد سوق البدع والعادات ، فهو ثمرة لجهودهم وأثر لإخلاصهم . إنهم قد لونوا هذه الصفحة من تاريخ الدعوة الإسلامية بدمائهم الطاهرة فبقيت متلألئة ولا تزال .

وكتب التاريخ الإسلامى حافلة بأسماء الأعلام الذين جاهدوا فى سبيل الحق وضربوا لنا أروع مثال فى الدفاع عن التوحيد الخالص والقضاء على البدع والمنكرات ، نزلت بهم المحن والبلايا ،

وصوبت إليهم سهام النقد والشتم ، ولكنهم تحملوا جميع المصائب مستبشرين ، واستمروا فى نضالهم المقدس راضين صابرين .

ومن هؤلاء الأئمة البارزين الذين صنعوا التاريخ ، الإمام الملهم الشهيد محمد اسماعيل الدهلوى ، الذى خلد ذكره فى التاريخ بعلمه الغزير وأعماله البطولية المجيدة .

عصر الشهيد : إن مشكلات العالم الإسلامى كانت قد بلغت ذروتها فى عصر الشهيد ، وكان المسلمون فى الهند مفترقين متشتتين ، انهارت حالتهم السياسية والاجتماعية وكثرت الخلافات المذهبية ، وذلك قد ساعد أعداءهم فى إضعافهم وتحقيرهم .

كانت الدولة المغولية على وشك الانهيار بسبب القادة المغرضين والحكام المهملين ، وكانت السلطة السياسية والاقتصادية قد تحولت من المسلمين إلى الإنجليز الذين استولوا على زمام الحكم بنوع من المكر والدهاء . واغتنموا فرصة ضعف الدولة المغولية واشتغال المسلمين بالتوافه من الأمور ، وجمودهم وتخلفهم فى ميدان العلم والسياسة ، فأنشأوا دولتهم ودعموا وجودهم .

وكان لهذا التخلف والضعف السياسى أثره فى الحالة الدينية ، فعامة المسلمين انحرفوا عن مبادىء الإسلام وتعاليمه ، ووقعوا فى الأوهام والخرافات ، وكان أكثر العلماء الذين لهم سيادة فكرية على الشعب ، يلعبون بمصير الجهال السذج ، والمغرضون يضلونهم بغير علم . وساد النفاق والتلون فى المجتمع ، وبدأ يحاول كل فرد من أفراد الأمة الاحتفاظ بمصلحته الخاصة ومكانته الاجتماعية دون أن

ينظــر إلى مصالح الأمة وكيان المســلمين . إن الأمــة قــد نسيت تماما دورها فى مجــال الإرشـاد والدعــوة ، وتجــاهلت الأهــداف والمبادىء التى أخرجت لتحقيقهــا . وحينمــا توقف نشاط الدعوة نسى المسلمون التوحيد الذى يعتبر ميزة للدين الإسلامى فعمت عبادة القبور والمشايخ ، وقدمت الهدايا والنذور للأموات الــذين لا يضرون ولا ينفعــون . ولــم يبق فــارق بين المسلمين وبين الهنــادك فى الحياة ، وكان المجتمع مليئا بالفواحش والمنكرات والتقاليد الجاهلية . إن المسئولين وأصحاب السلطة فى الحكومة قد تجاهلوا حالة المسلمين وغرقوا فى الترف والملذات وتخلــوا عن مسئوليتهم نحو الأمــة والمجتمع فى ســبيل الإصــلاح الإجتماعى والسياسى والدينى . وكذلك كان هناك تأخر رهيب فى مجال العلم والثقافة ، فكان العلماء جامدين متعصبين لإمامهم وفقهه . فلم يبق هناك مجال للاجتهاد ولتحسين حالة المسلمين الذين قلدوا آباءهم وقدسوا تقاليدهم وعاداتهم .

ولادته وحياته : وفى هذا العصر ولد الإمام محمد اسماعيل ابن عبد الغنى بن الشاه ولى الله الدهلوى فى قرية مجاورة لدلهى فى ١٢ ربيع الآخر ١١٩٣هـ .

وكانت أسرته تنحدر من نسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وكانت على حظ كبير من العلم والفضل ، والتقوى ، ومنزلة رفيعة عند الله وعند الناس . فالإمام هو سليل بيت عربى عريق ، حسيب نسيب ، استمد الشرف والسيادة من انتمائه إلى هذه الأسرة العريقة، وجمع إلى شرف النسب خصال التقوى والاستقامة.

توفى والده وهو فى العاشرة من عمره ، فكفله عمه ، الشيخ عبد القادر ، واهتم به اهتمام الآباء بالأبناء . شب وترعرع فى بيئة علمية ، وكانت علامات الذكاء تلوح عليه منذ أيام الطفولة . كان والده رحمه الله رجلا صوفيا وعالما كبيرا حائزا على شهرة ومهارة فى العلوم الإسلامية. والشهيد قد تلقى دراسته الإبتدائية على يد الوالد، ثم أتم هذه المرحلة الدراسية لدى عميه الشاه عبد القادر والشاه عبد العزيز . وكانت كفاءاته الممتازة قد ساعدته على إحراز التقدم فى هذا المجال . درس التفسير والحديث والفقه والمنطق والفلسفة والرياضة وقد أجمع أصحاب التراجم على أن الشهيد كانت له قدم راسخة فى جميع هذه العلوم ، ولم يوجد مثله فى عصره . كان زملاؤه فى الدرس يوجهون إليه أسئلة معقدة للاختبار والإحراج ، فكان يرد عليها بسرعة وحذق يندهش لها السامعون ويندم المحرجون. كان غزير العلم ، واسع الاطلاع ، متوقد الذهن ، عميق الفكر ، تفوق أقرانه فى مجال العلم والعمل ، وتبوأ مكانة الصدارة بين العلماء الأفذاذ . وكان بجانب هذا كله ماهرا فى الفروسية والأعمال الرياضية من الرمى والسباحة والمصارعة . كانت له قدرة تامة وتدريب كامل على تحمل المشاق وركوب الصعاب ، كان يمشى حافيا على الأرض المجصصة الحامية فى الصيف ، ويلبس الثياب الخفيفة فى الشتاء القارس كى يتمكن من مواجهة الصعاب فى المرحلة القادمة من حياته النضالية .

وحينما توفى عمه الشاه عبد القادر خلفه الشهيد فى الفتيا والتدريس ، وجعل يؤدى واجبه نحو الأمة الإسلامية فى الهند .

كان السيد أحمد البريلوى قد زار دلهى وتم اتصاله بأسرة الشهيد . وكان رجلا تقيا صالحا ذكى القلب ، اهتم به كل من الشاه عبد العزيز والشاه عبد القادر ، فاستفاد هو منهما وبدأ نشاطه فى النضال والجهاد ضد السيخ .

وقد اتصل الامام محمد اسماعيل الشهيد بالسيد أحمد فى سنة ١٢٣٥ هـ وبايعه على الجهاد وإصلاح حالة المسلمين ، وبعد بيعة الشهيد بايعه ألوف من المسلمين . وبإشارة من الشاه عبدالعزيز بدأ الشهيد يحث أتباع السيد أحمد على الخروج للحج ، ويستنهض هممهم لأداء هذه الفريضة ، وقد استجاب الناس لهذا النداء وتجمعوا حول راية الشهيد مستعدين للسفر . ووصلت هذه الجماعة إلى مكة المكرمة فى سنة ١٢٣٧ هـ . وقد مكث الشهيد فى الحجاز أكثر من سنة اتصل خلالها بالعلماء والأئمة الوافدين من البلاد الإسلامية مثل سوريا ومصر وبلغاريا ، ودرس حالة المسلمين فيها بعمق وتفكير . ثم رجع إلى الهند فى سنة ١٢٣٩ هـ بعد ثلاث سنوات قضاها خارج مدينة دلهى .

نشاطه فى الإرشاد والتوجيه : يرجع دخول المسلمين فى الهند إلى بداية القرن الثامن الميلادى ، ولكن دولتهم قامت واستقرت فى القرن الثالث عشر . وقد انتهى دورهم على مسرح السياسة فى بداية القرن التاسع عشر بسقوط دلهى فى أيدى الإنجليز . والظاهر أن الملوك وأمراء المسلمين لم يؤدوا واجبهم فى مجال الإرشاد والتوجيه ، ولم ينظموا أمور الدعوة الإسلامية طوال هذه المدة الكبيرة . وما يرويه لنا التاريخ من انتشار الإسلام وإقبال

الناس على الدين الإسلامى يرجع إلى محاسن الإسلام وإلى جهود العلماء والصوفية غير المبتدعة الذين وقفوا حياتهم لنشر الإسلام .

ثم إنه لم يكن هناك نظام خاص لتوجيه الشعب المسلم الذى كان حديث العهد بالإسلام وتربيته تربية دينية سليمة بل كان الناس يدخلون فى الإسلام وفيهم بقايا الوثنية وحب التقاليد والعادات القديمة . ومن هنا كثرت البدع والتقاليد وأخذت تظهر بمظهر دينى مقدس .

وكان الشهيد قد درس هذه الحالة وألم بالعوامل التى أدت بالمسلمين إلى الضعف والانهيار . فلما فرغ من مرحلة التعليم والدراسة بدأ عمله فى التوجيه والإرشاد . وكان جامع دلهى مركزاً لنشاطه الإصلاحى وقاعدة لنضاله الدينى . ومن هنا بدأ استعداده للجهاد . وكان الناس يقيمون الأسواق فى هذا الجامع وينتهكون حرماته ، ولم يكن أحد من العلماء ينكر عليهم ويرشدهم إلى الحق . ولكن الشهيد عارض هذه العادة القبيحة وأطلع الناس على حرمة هذا المكان . ثم حصل على مرسوم من الملك أكبر الثانى يحظر إقامة الأسواق فى الجامع ويوجب على الناس احترام هذه البقعة المباركة .

وكانت مواعظه وخطبه تتركز فى البداية حول التوحيد وشرح العقيدة الأساسية للإسلام . وقد برهن أولا على أن الله تعالى وحده يقدر على عون العبد ونصره ، وهو وحده يسمع الدعاء ويجيب المضطر ويرزق العالم . وهو الذى يحيى ويميت ويبسط

ويقدر . وهو الذى يهب الأولاد ذكورا وإناثا ، ويجعـــل من يشــــاء عقيمـــا .

ثم تدرج من ذلك إلى التنديد بأعمـــال الشرك من عبـــادة الأولياء والمشايخ ، والسجود للقبور ، وتقديم الضحايا والنذور لغير الله . ثم إنه دعا الى ترك عبادة الأصنام ونبذ العادات التى تسربت إلى صفوف المسلمين والهتهم عن روح الدين وجوهره . وفى نفس الوقت هاجم علماء السوء والمتصوفين الذين كانوا يخدعون الناس ويستغلونهم بتزوير وتلبيس .

وقد أحدثت هذه المواعظ ضجة كبيرة فى صفوف المبتدعين وعلماء السوء ، فاحتالوا للحصول على أمر من الحاكم الإنجليزى يمنع الشهيد من إلقاء الخطب ، وبوقف نشاطه الإصلاحى والتوجيهى ، ولكن الحقيقة قد وضحت بعد قليل للحاكم فعاد يصدر أمرا بالسماح للشهيد للاستمرار فى نشاطه الإصلاحى . وبذلك خاب المعاندون وذهبت جهودهم ضد الشهيد سدى .

فى المجتمع : كان الانحطاط السياسى للمسلمين فى الهند بداية لانحطاط فكرى واستعباد عقلى ، فقد منوا بالتقليد الأعمى والجمود فى التفكير . تأثروا بالهنادك فمنعوا زواج الأرامل واعتبروه خروجا على الدين ومجلبة للذل والعار . والشهيد قاوم هذا التفكير المعارض لتعاليم الإسلام ، وحرض الناس على إحياء هذه السنة الميتة . ولقى فى ذلك نجاحا ملموسا يذكر .

وكان هناك مظهر آخر لهذا الاستعباد الفكرى ، وهـــو أن

المسلمين كانوا قد أهملوا تعليم الإسلام للمساواة والعدالة الاجتماعية وانقسموا إلى طبقات وطوائف . فكانت هناك طبقة العلماء المرشدين وطبقة عامة الناس ، مثلما نرى عند الهنادك من طبقة البراهمة ، أصحاب السيادة الدينية ، وطبقة المنبوذين ، أصحاب الخدمة والمهن. ولكن الشهيد حارب هذه التفرقة العنصرية ، وأعلـــن أن جميع المسلمين إخوة ، والإسلام قد جاء للقضاء عــــلى التفرقة العنصرية ومقاومة هذه النزعة غير الإنسانية ، إنه قد قرر أن لا فضـــل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح . والتفرقة بين الجنس البشـــرى عـــلى أساس المهن والمراتب الاجتماعية لا قيمة لها فى الإسلام ولا أساس لها .

كان هذا النداء غريبا للناس ، لأنه كان يهدف إلى هدم ما ألفوه فى البيئة الهندية منذ قرون . ولكن الشهيد كان مخلصا فى دعوته ، صادقا فى عاطفته ، حكيما فى أسلوبه ، فأثمرت جهوده ، وامحت الفوارق التى أقامها الناس فيما بينهم ، فصاروا إخـــوانا متكاتفين متعاونين على البر والتقوى .

جولة لبنجاب : وبينما كان الشهيد يقوم بنشاطه الإصلاحى فى مدينة دلهى ، وصلت إليه أنباء محزنة عن المسلمين فى ولاية البنجاب ، وكانت هذه الولاية فى ذلك الوقت تحت سيطرة السيخ ، وهم يحكمونها ويستغلون خيراتها . ومعاداتهم للمسلمين قد بلغت ذروتها ، كانوا يحاولون إبادتهم وتدميرهم بعد اضطهادهم وتجريدهم من الحقوق المدنية . كانت المساجد محظورا فيها الأذان ، وقد جعلوها مرابط للخيول ومخازن لعدد الحرب . ومنعوا المسلمين عن

القيام بأمور الدين ، والعمل بمقتضى الشريعة الإسلامية . ولم تكن هناك حرمة للقرآن والشعائر الدينية البتة .

والشهيد بعد سماعه هذه الأنباء السيئة أراد التأكد والتبين فقام بجولة استطلاعية للولاية كلها ، اكتشف خلالها اضطهاد السيخ للمسلمين وظلمهم إياهم . وكان الشهيد قد أخفى سفره هذا وأهدافه، فلم يكن يعرف عنه أحد إلى أين ذهب ولماذا ؟ ثم عاد الشهيد إلى دلهى وبدأ يفكر فى الوسائل التى تساعده فى تحقيق أهـــدافه العليا من تحرير المسلمين وإنقاذهم من براثن السيخ الظالمين ، ونشر التوحيد والعقيدة الصحيحة فيما بينهم . وفى هذه المدة كان الشهيد يستشير السيد أحمد ويستنير بآرائه فى التخطيط للمراحل القادمة التى كان الشهيد يعتبرها حاسمة فى تاريخ المسلمين فى الهند .

فى ساحة القتال : كان الشهيد يتقن العلوم الإسلامية ، ولم يكن علمه تقليديا ، بل كان من الراسخين فى العلم الذين وصلوا إلى لب الإسلام وروحه ، ولذلك كان يؤمن بأن الإسلام ليس دينـــا فحسب ، بل هو دين ودولة ، وقوة ســـياسية ، جاء بنظام سياسى سليم ، وبأصول إلهية محكمة تشمل النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية . وبدافع من هذا الإيمان فقد دخل الشهيد ، (بعد الإصلاح الاجتماعى والدينى وبعد قيامه بجولة استطلاعية لولاية البنجاب) فى مرحلة خطيرة من حياته هى مرحلة (الجهاد) والنضال المسلح لتحرير المسلمين وتأمين مستقبلهم فى الهند . إنه كان قد لمس ضرورة هذا النضـال فى كتابات جده الشاه ولى الله الدهلوى ، وعمه الشاه عبد العزيز . ثم هو بنفسه كان متأكدا بأن

جهود التجديد والإصلاح لن تكون مثمرة إلا بعد السيطرة العسكرية وتحقيق النظام السياسى القوى .

وبعد أن تم اتصاله بالسيد أحمد البريلوى لمس فيه الشهيد صفات القائد البصير ، فبدأ ينظم صفوف المسلمين ويعبئهم بروح الجهاد المقدس . وفى سنة ١٢٤١ هـ أعلن الجهاد تحت قيادة السيد أحمد ودخل فى القتال ضد أعداء الإسلام . وخاض معهم معارك عديدة يبلغ عددها ١١ معركة انتصر فى الجميع بعون الله تعالى وبفضل إخلاصه وسمو أهدافه . كان يهدف إلى إقامة الدولة الإسلامية وإحياء معالم الإسلام . ولكن مؤامرات الخائنين ودسائس الحاسدين قد عطلت هذه الحركة المقدسة ، وقضت عليها قبل أن تنمو وتثمر . ففى شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٦ هـ استشهد هو وأميره السيد أحمد مع الآخرين فى معركة مع السيخ بأرض « بالاكوت (١) » . وبذلك انتهت الحياة الحافلة التى غيرت مجرى التاريخ الإسلامى فى الهند ، وبذرت بذور التقدم والحرية والعدالة فى النفوس . إن هذه الحركة النضالية قد توقفت بموت الشهيد ولكن أهدافها النبيلة وآثارها العميقة لا تزال حية فعالة ، يسمع الباحث الخبير صداها فى حركة جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وغيرهما من رواد النهضة الإسلامية وزعماء الإصلاح الدينى .

---

(١) « بالاكوت » قرية فى الباكستان الغربية ، تبعد عن عاصمتها « إسلام آباد » نحوا من تسعين ميلا إلى جانب الشمال .

رحم الله الشهداء الصالحين الذين رووا بدمائهم أرض بالاكوت وضحوا بنفوسهم فى سبيل إعلاء كلمة الحق . اللهم اغفر لهم وارحمهم وأكرم مثواهم .

مؤلفاته : عاش الشهيد حياة مليئة بالحركة والنشاط ، ما أحب العزلة والانطواء على نفسه بل آثر الخروج إلى صفوف الناس واختلط بصغيرهم وكبيرهم كى يتم له ما يريد من الإصلاح الاجتماعى والاستعداد الحربى . قام بأسفار طويلة شاقة فى سبيل أهدافه السامية . وهذه الظروف والأحوال لم تكن ملائمة لشئون البحث والتأليف ، ولكنه كان مهتما بالكتابة منذ أوائل عمره . كان يريد أن يبدأ حياته العلمية بكتابة تفسير للقرآن الكريم ، وفى هذا الصدد فقد استشار عمه الشاه عبد العزيز ، فوافقه على رأيه وأبدى له بعض المشورات القيمة النافعة . فبدأ الشهيد بالبحث والمطالعة ، ولكنه تحول سريعا عن إرادته وفضل الناحية العملية من الإصلاح والاستعداد للحرب .

ومع ذلك نرى له بعض المؤلفات القيمة والرسائل العديدة . يبدو أنه قد ألفها نظرا إلى مقتضيات الإصلاح العام وتلبية لحاجات العصر . ويرى بعض الباحثين أن الشهيد قد ترك وراءه آثارا علمية كثيرة قد ضاعت بسبب إهمال الناس . ومن مؤلفاته التى وصلت إلينا : كتاب تطهير الإيمان ، وتنوير العينين فى إثبات رفع اليدين ، والإمامة حقيقتها وأقسامها ، والصراط المستقيم ، وأصول الفقه . وجميع هذه المؤلفات على مستوى عال من البحث والتحقيق ، يلمس

فيها القارئ غزارة علمه وسعة اطلاعه وغيرته على دينه مع ما فيها من قوة الاستدلال وفصاحة الأسلوب وعمق المعنى .

أما كتابه « تطهير الإيمان » الذى نقدم ترجمته بهذه السطور ، فهو من أشهر مؤلفاته بالأردية ، والشهيد كان قد ألف كتابا باللغة العربية سماه « رد الإشراك » وكان هذا الكتاب يتضمن بابين : الأول فى التوحيد ، والثانى فى التمسك بالسنة والإجتنـــاب عن البدعة . ثم بدا له أن الفائدة لا تتم إلا إذا كان الكتاب بالأردية ، اللغة التى يفهمها معظم الناس ، فترجم الباب الاول ، وهو فى بيان التوحيد ، إلى اللغة الاردية مع ما أضاف إليه من الشرح والتوضيح وسماه « تطهير الإيمان » . وأما الباب الثانى ، وهو فى الاعتصام بالسنة والرد على البدعة ، فقد ترجمه تلميذه الأستاذ محمد سلطان خان إلى الاردية وهو يعرف الآن بـــ « تذكير الإخوان » .

والكتاب مع صغر حجمه قد اشتهر فى العالم الإسلامى وكان له صدى كبير عند المسلمين . إنه يقدم دستورا شاملا للحياة ، وهو بديع فى بابه ، يلمس فيه القارئ الحماسة الدينية القوية ، والإيمان الراسخ . وميزته أن المؤلف لم يستدل إلا بالكتاب والسنة ، فلا تجد فيه قول إمام أو فقيه ، ولا أسلوبا فلسفيا معقدا يمل القارئ ، ولا زخرفة بعض البلغاء وتصنعهم فى الكلام . إنه يتكلم بأسلوب واضح سليم ، ويشرح المسائل والعقائد بهدوء ووضوح ، فلا التواء ولا تعقيد ، ولا غموض ولا ابهام . وكذلك يتميز الكتاب بأنه تنـــاول الأمور الأساسية للإسلام والبدع التى دخلت فى الدين وطمست معالم الحـــق المبين .

وفى مقدمة الكتاب فنـد المؤلف الزعم بأن القرآن لا يفهمه إلا العلماء ، وذلك بأن الله تعالى قد بعث الرسل لهداية الناس ، ويسر الدين للجميع ، فلا معنى لتخصيص فهم القرآن بالعلماء . ثم قرر أن الواجب أن نؤمن بالكتاب والسنة ولا نلتفت إلى آراء العلماء والمشائخ مهما كانت شخصياتهم ومكانتهم إلا إذا قامت على الكتاب والسنة .

والموضوع الرئيسى للكتاب — كما قدمنا — هو توحيد الله تعالى فى ذاته وصفاته . والمؤلف قد برهن على أن الأمم الماضية قد ضلت وكفرت بالله حينما عبدت أحبارها ورهبانها وزعمت أنهم يقدرون على الرزق والإماتة والإحياء .

والكتاب بأسلوبه وبراهينه يعتبر من أهم المراجع الدينية ، وله تأثير قوى فى المجتمع ، قد لا تحظى به المؤلفات الضخمة التى لها بيانها وأسلوبها وشهرتها . والباحثون يعترفون بأن هذا الكتاب هو الوحيد الذى قام بإصلاح الحياة الاجتماعية والدينية فى ذلك الوقت . وما نراه الآن من انتشار السنة الصحيحة فى الهند واختفاء مظاهر البدع والعادات فإنما هو بفضل هذا الكتاب وتأثيره البليغ . وكان إقبال الناس على الكتاب عديم النظير ، فيقال إن النسخ التى طبعت إلى الآن وانتشرت بين الناس يبلغ عددها أكثر من خمسة ملايين نسخة ، ولا تزال الطبعات الجديدة تظهر إلى الآن .

وفى الكتاب مواضع تناولها بعض المغرضين والمبتدعين بالنقد والاعتراض ، فى زمن الشهيد وبعده . والحق أن المعترضين

والناقدين إما أنهم لم يفهموا الإسلام وتعليمه ضد البدع والتقاليد فاعترضوا على الشهيد ، أو كانوا مدفوعين بدوافع من الجهل والانخداع وكانوا يريدون استغلال الشعب الجاهل وإبعاده عن روح الدين .

حقا إن الكتاب قد فتح بابا للجدل والاعتراض ، ولا يزال بعض الناس يكتبون ضد الشهيد ، والبعض الآخر يدافع عنه . ولكن الزمن قد برهن على أن حركة الشهيد لو قدر لها النجاح والانتشار على نطاق أوسع لكانت الحالة السياسية والدينية للقارة كلها غير ما نراه الآن،ولكان المسلمون قد نجوا من المشكلات والخسائر التى تلاحقهم ولا تزال .

وختاما أقدم الشكر الجزيل لصديقى الأستاذ عبد الوحيد الرحمانى الذى قام بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية ، وهيأ الفرصة أمام القراء العرب للاستفادة من هذا السفر القيم ، إنه معروف أسداه إلى القراء ، والأمل أنه سيلقى لديهم التقدير والتشجيع . والله تعالى نسأل أن يجزيه عن العلم والعلماء خير الجزاء ويكافئه على هذا المجهود . إنه ولى التوفيق .

بيـــان الشرك والتوحيد

يجب أن يعلم أن الشرك قد انتشر فى النـــاس وقـل فيهم التوحيد الخالص وندر ، فأكثر الناس لا يعرفون معـــنى الشرك والتوحيد بل جهلوه ، ومع ذلك يدعون الإيمان ، وهم مبتلـــون بالشرك ، فعلينا أولا أن نعرف معنى الشرك والتوحيد على ضوء القرآن الكريم .

ومن المعلوم أن أكثر الناس بدل أن يدعو الله يدعون الأولياء والرسل والأئمة والشهداء والملائكة والعفاريت عنـــد الشـــدائد والمصائب ، ويستمدون عونهم فى البلايا ، ويقدمون النذور إليهم لقضاء حوائجهم ، ويعبدون لهم أولادهم لرفع المصـيبة عنهم ، فيسمى أحدهم ابنه بعبد النبى أو بعلى بخش « أى هبة على » وبحسين بخش «أى هبة الحسين» وبير بخش «أى هبة المرشد» وبعضهم يسمى ولده بمدار بخش « أى هبة مدار » وبسالار بخش « اى هبة سالار » ويسمى البعض ابنه (بغـــلام محى الدين) « أى عبد محى الـــدين » وغـــلام معـــين الـــدين « أى عبد معين الـــدين » وبعضـــهم يرســـل ضـــفائر أولاده لا يحلقهـــا ولا يقصـــرها وقـــد كتـــب عليهـــا اســـم بعض الأوليـــاء لكيلا يموت ولده ، وبعضهم يلبس ولده الخيوط فى عنقه على اسم بعض الأقطاب ، وبعضهم يلبسه الثياب ، وبعضهم يجعل فى رجله حلقة الحديد ، وبعضهم يذبح لغير الله ، وبعضهم يستغيث بغيره فى المصائب ، فمثلا يقول يا عبد القادر ، وبعضهم اذا حلف يحلف بغير الله ، مثل ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم ، ومع ذلك

يدعون أنهم مسلمون ، فسبحان الله أليس هذا من العجب العجاب؟

وقد قال الله تعالى فيهم فى سـورة يوسف : « **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** » فاذا قيل لهم : لماذا تأتون بأعمال شركية مع أدعائكم الإيمان ، فيجيبون بأننا لا نشرك بالله ، بل نظهر عقيدتنا فى الأنبياء والأولياء ، وهذا ليس بشرك لأننا لا نبلغهم إلى رتبة الالوهية والعبودية ، بل نعتقد أنهم عباد الله وخلقه وقد أعطاهم الله القدرة على التصرف فى الكون ، فهم يتصرفون فيه بمشيئته ، فدعاؤهم هو دعاء الله والاستغاثة بهم هو الإستغاثة به ، والاستعانة بهم هى الاستعانة به ، وهم أحياء الله يفعلون ما يشاؤن وهم شفعاؤنا عند الله فنحن نتقرب بهم إلى الله تبارك وتعالى .

وهذا الاعتقاد الذى سيطر على كثير من جهلة المسلمين سببه الوحيد أنهم تركوا كتاب الله وسنة رسوله فاتبعوا الشهوات والهوى ، ومالوا إلى الأساطير الكاذبة ، وعملوا بالعادات والتقاليد السيئة ، فلو تأملوا الكتاب والسنة لعرفوا أن الكفار كانوا يشبهونهم فى عقائدهم الفاسدة ، وقد قال الله تعالى ردا عليهم فى سورة يونس « **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السماوات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** » أى ان الذين يدعونهم من دون الله لا يستطيعون ان ينفعوا أو يضروا كذلك لا يقدر احد لا فى السماء ولا فى الأرض ان يشفع لاحد الا بإذن الله ، فالأولياء والانبياء لا يستطيعون أن يشفعوا

لأحد إلا بإذن الله ، فمن يعبد وليا أو نبيا وهو يعتقد انه شفيعه عند الله فعمله هذا شرك .

وقد قال الله تعالى فى سورة الزمر : **((والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار))** فالآية تدل على أن من يتخذ أحداً وليه ثم يعبده ظنا منه أنه يقربه من الله ، فهو شرك جلى ، كما قال الله تعالى فى سورة المؤمنون :

((قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون)) وهذه الآية الكريمة تبين أن الله تبارك وتعالى لم يمكن أحد أن يتصرف فى العالم ، وليس لأحد قدرة أن يشفع لأحد عنده ، ومن المعلوم أن كفار مكة ما كانوا يتخذون أصنامهم آلهة بل كانوا يعلمون أنهم عباد الله ومن خلقه ، لكنهم كانوا يدعون الأصنام ويقدمون لهم النذور ويجعلونهم شفعاء فى البلاء ، فهذا هو الشرك . فمن يعتقد مثل هذه الاعتقادات فى غير الله بأنه يرفع البلاء ويكشف الضر ويقضى حوائج الانسان ، ويهب الأولاد فهو وأبو جهل كلاهما متساويان فى الشرك . وقد ثبت أن الشرك لا يتوقف على أن يساوى أحد أحدا بالله من المخلوقين ، بل معنى الشرك أن ما خصه الله لنفسه من الصفات والنعوت والحقوق لا يشرك فيها أحد غيره معه نحو السجدة إلى القبور ، والذبح لغير الله ، ودعاء غيره فى البلاء ، واعتقاد التصرف فى الكون أو فى شىء من ملكه بغير مشيئته ، فيثبت من هذه الأمور الشنيعة الشرك ، فمن يخص هذه

الحقوق المختصة بالله غيره من الأنبياء والأولياء وأهل القبور فقد أشرك ، وقد قال الله تعالى فى سورة التوبة ردا على اليهود والنصارى : ((**إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**)) فالآية تدل دلالة واضحة على أن من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا ، فمن اتخذهم على هذا الوجه وجعل طاعتهم هى الأصل وطاعة الله ورسوله تبعا لطاعتهم فقد اتخذهم أربابا من دون الله يتألههم ويحاكم اليهم ويقدم أمرهم على أمر الله ورسوله فهذا هو الكفر والشرك بعينه . فان الأمر كله لله كما أن العبادة كلها لله ، إن الله واحد ، ليس له شريك ، والخلق كلهم عاجزون عن التصرف فى شىء وإن قل بغير إذنه ((وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه سواء)) كانوا من الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم كما قال الله تعالى فى سورة مريم ((**إن كل من السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**)) فى الآية دليل على أن الملائكة والانسان كلهم عباد الله ، وعاجزون عن التصرف فى شىء من ملكه ، ليس لهم قدرة على التصرف فى العالم ، وكلهم يقوم بين يديه يوم القيامة ويأتيه منفردا ، ولا يستطيع أحد أن يشفع لأحد بين يديه إلا بإذنه ، وفى القرآن آيات كثيرة فى رد الشرك تركتها مخافة التطويل والإطناب ، فمن يتفكر ويتدبر فى الآيات التى ذكرتها من قبل سيعرف معنى الشرك والتوحيد .

وهنا نذكر الأمور التى خص الله بها نفسه ، منها إنه يعلم

الغيب ، ويعلم كل شيء سرا كان أو علانية ويعلم ما في السماء أو في الأرض أو على قلل الجبال أو في ظلمات البحر ، وهو يجيب دعاء المضطر سواء كان قريبا أم بعيدا ، فمن يدعو غير الله عند القيام والقعود ، ويدعوه من القريب والبعيد ، ويستغيث به في البلاء ، ويعتقد أنه كلما دعاه يطلع عليه ويعرف جميع أحواله ، ويقدر على أن يشفي المريض ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وبيده الموت والحياة ، وهو يعرف كل ما يقع في صدره ، من الوسوسة وغيرها فمثل هذه الاعتقادات شرك ويقال له (الإشراك في العبادة) والربوبية حق الله ومنها التصرف في الكون بمشيئته ، والاحياء والإماتة ، وبسط الرزق لمن يشاء وتقتيره على من يشاء وشفاء المرضى والنصر والهزيمة ، وقضاء حوائج الناس ، ورفع البلاء ، هذه الأمور كلها مختصة بالله تبارك وتعالى ، فمن يعتقد أن هذه الأمور أو شيئا منها توجد أيضا من غير الله أو بغير إذنه فقد أشرك ، ويقال له (الإشراك في التصرف) ومن خصوصيات الله الركوع والسجود له والقيام بين يديه بأدب واحترام ، والإنفاق في سبيله ، والصوم ، وشد الرحال الى بيته ، والذهاب اليه بهيئة مخصوصة حتى يعلم الناس أنه يريد زيارة بيت الله ، واجتناب الرفث والفسوق ، والاحتراز من الصيد ، والطواف حول البيت ، والقيام أمام الكعبة للدعاء والتضرع الى الله ، وتقبيل الحجر الأسود وشرب ماء زمزم تبركا ، وتعظيم شعائر الله ، هذه الأمور كلها خصها الله لنفسه ، فمن سجد لقبور الأولياء والأنبياء وقبلها وعظمها وقام بين يديها بأدب واحترام ، كما يقوم بين يدي الله تعالى في الصلاة ، وشد الرحال إلى المقابر والمشاهد واستعمال

بأهل القبور وعظم البقاع التى حول المقابر فإنه شرك ، وهذا هو الإشراك فى العبادة ، ومنها أن الله تبارك وتعالى أمر عباده أن يذكروه دائمـــا ويعظموه فى كل حال ، حتى لا يقع خلل ولا فساد فى إيمانهم ، واذا وقعوا فى مصيبة فليقدموا النذور اليه ، وعليهم أن يدعوه لرفع البلاء وإذا شرعوا فى أمر فليشرعوا ببســم الله ، واذا رزقوا ولدا أو نعمة من النعم فأرادوا ذبحـــاً فليذبحوا له شاكرين . ويسموه بعبد الله وعبد الرحمن ، وخـــدا يخش (اى هبة الله) والله ديا (أى هبة الله) وأمة الله ، وليؤدوا ذكاة أموالهم وليطيعوه فى جميع أوامره ونواهيه ، ومع ذلك عليهم أن يعتقدوا أن الجذب والقحط والصحة والمرض ، والنصر والهـــزيمة ، والعزة والإهانـــة ، والحـــزن والفـــرح كلهـــا بيـــد الله . وقد أمر الله عبده اذا أراد أن يفعل شيئا فليقل أفعله إن شـــاء الله ، وعندما يذكر الله يذكره بالتعظيم والإحترام ، كأن يقـــول « ربنا وخالقتنـــا » وإذا أراد أن يحلف فلا يحلف بغـــيره ، فـــلا يحل لمسلم أن يقف هذا الموقف مع أحد ، ولو كان نبيا أو وليـــا أو إماما ، وكذلك لا يجوز له أن يقول أفعله إن شاء الله وشاء رسوله . ولا ينبغى له اذا تكلم مع ولى أو إمـــام أن يقول له أثنـــاء كلامه يا ملك الملوك . أو يا معبود ، أو يا غنى ، واذا اضطر إلى حلف فـــلا يحلف بالنبى أو الولى أو بالمقابر فإنه شرك ، وهـــذا إشراك فى العبادة أيضـــاً .

— * * —

وقد بين الله تعالى هذه الانواع من الشرك فى كتابه الكريم ، واعتمادا على ما ورد فى القرآن قسمنا هذا البـــاب إلى خمسة فصـــول .

الفصل الاول فى اجتناب الإشراك .

الفصل الثاني فى رد الإشراك فى العلم .

الفصل الثالث فى ذكر رد الإشراك فى التصرف .

الفصل الرابع فى رد الإشراك فى العبادة .

الفصل الخامس فى رد الإشراك فى العادات .

الفصـــل الأول

((اجتنـــــاب الإشـــــراك))

قال الله تعـــالى ((**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا**)) هذه الآية تدل على أن من لا يميز بين الحــلال والحرام . ويسرق ويرتكب الذنوب ويترك الصيام والصلاة ، ولا يؤدى حق الزوجة والأولاد ، ولا يعظم والديه ولا يوقرهما قد ضــل عن الطريق السوى ، وحاد عن الصراط المستقيم ، وأما من أشرك بالله فقد أتى بأكبر الكبائر ، وإن الله لا يغفر لمشرك أبدا . فثبت أن صاحب الشرك لا يغفــر لـــه بل يخلــد فى النــار (بشرط أن يمــوت بدون توبة) فالله أســأل أن يرحمنا ويجنبنا غــوائل الشــرك . آمــين .

وقد قال الله تعالى ((**وإذا قال لقمان لابنه وهـــو يعظـــه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**)) فإن الله تعالى قدر رزق لقمان عقلا سليما وفهما ثاقبا فعلم أن من أشرك بالله فقد تجاوز الحد ووضع الشىء فى غير موضعه ، وليس من العدل أن نسلب حقه ونعطيه لمن لا يستحقه ، فلو ألبسنا تاج الملك رجلا منبوذا حقيرا ، وأجلسناه مكانه فهو الظلم . واعلم أن كل مخلوق كبيرا كان أو صغيرا أقل رتبة عند الله من المنبوذين المحتقرين ، وقد ظهر

من الآية أن الشرك من أكبر الـذنوب ، وكذلك يحكم العقل السليم بأن الشرك من أكبر العيوب ، وهذا هو الحق ، فمن أشرك بالله فقد أساء الأدب في جنابه .

وقد قال الله تعالى ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**)) فالآية تنادى بأعلى ندائها بأن الله تعالى أمر جميع الأنبياء والرسل بالتوحيد ونهاهم عن الشرك ، وأمرهم أن يوحدوه ولا يشركوا به أحدا ، وهذا هو طريق النجاة والنجاح ، وما يخالفه من الطرق فهو باطل غير صحيح .

وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه وأنا منه برىء . فهذا الحديث دليل على أن الله تبارك وتعالى غنى عن الشرك ، وبرىء منه . وعلم أيضا أن عبادة المشرك مردودة غير مقبولة ، وأخرج أحمد عن أبى بن كعب رضى الله عنه فى تفسير قول الله عز وجل ((**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم**)) **قال** جمعهم فجعلهم أزواجا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى، قال: فإنى أشهد عليكم السماوات والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، لم نعلم بهذا ، أعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا . إنى سأرسل اليكم رسلى

يذكرونكم بعهدى وميثاقى ، وأنزل عليكم كتبى . قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك .

أى إن الله تبارك وتعالى جمع ذرية آدم فى عالم الأرواح فى مكان واحد ، وفيهم الأنبياء والرسل ، وجمع الأولياء والشهداء ، وجمع الصالحين والمطيعين ، وجمع المذنبين والكفار كلهم وقال لهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق على ألوهيته وكونه معبودا وربا ، فأقرت كل طائفة من هذه الطوائف بالألوهية والربوبية والعبادة له . وبعد ذلك اشهد الله عليهم السماوات والأرض ، وأيضا أشهد عليهم آدم عليه السلام ، ثم قال لهم ستأتيكم رسل للتذكير بهذا العهد والميثاق ، ويأتونكم بالكتب المنزلة عليهم منى ، فاعترف كل واحد من ذرية آدم بوحدانيته وأنكر الشرك بالله ، فلا يحل لأحد أن يستند إلى غير قول الله وقول رسوله فى الأعمال وغيرها ، ولو كان صاحب هذا القول أستاذه أو مرشده ولو كان من آبائه وأجداده ، ولو كان ملكا من الملوك ، ولو كان من العلماء ، فمن يظن أن هذا العهد والميثاق فى ذلك العالم أى (عالم الأرواح) قد نسى ولا تكليف بما نسى ولا اعتبار له فهذا هو الوهم الباطل ، لأن الإنسان ينسى كثيرا من الأمور فلا يذكرها إلا إذا ذكرها إياه رجل من الثقات ، إلا أن ذلك العهد والميثاق لا يستقل بالتكليف ، ولا يكفى لإقامة الحجة بل لابد من إرسال الرسل وإنزال الكتب عاضدة لذلك العهد والميثاق ومذكرة به . والإنسان لا يدرى كيف ولد ومتى ولد وكذلك لا يعلم من والدته فيسمع من الناس بأنهم يخبرونه عن أمه ، فيصدق قولهم ، ويعرف أمه ، فمن لا يؤدى حق أمه فالناس يلومونه على هذا

الفعل ويحمقونه وينسبونه الى إساءة الأدب ، فإذا صدق الإنسان قول العوام فى كثير من الأمور فكيف لا يصدق الأنبياء والرسل مع أن لهم شأنا كبيراً ؟ !! وهم أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك ، فالحديث دليل على أن الله تعالى أمر بالتوحيد ونهى عن الشرك فى عالم الأرواح ، ولهذا الغرض الوحيد بعث الله الانبياء والرسل ، وأنزل الكتب السماوية ، وجميع الكتب المنزلة مشتملة على التوحيد ، فتعاليم الكتب المنزلة وتعاليم الأنبياء والرسل ترشدنا إلى التوحيد واجتناب الشرك ، فعلم من هذا أن من الواجب على كل مسلم أن لا يتخذ غير الله حكما ، وأن لا يعتقد أنه يتصرف من قبل نفسه فى الكائنات ، ولا يجعله ربا بحيث يستعين به لرفع حوائجه عند البلاء والمصيبة .

وقد أخرج أحمد عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت أو حرقت » أى لا تجعل غير الله ربا ولا تخف منه ، ولا نظن أن الجن والشيطان يستطيع أن يؤذى أحدا من الناس من تلقاء نفسه ، فعلى المسلم إذا أصابته مصيبة من الله فليتحملها وليصبر عليها ، فإذا أصابت المصيبة أحدا من قبل الجن والشيطان فلا يخاف منه ، ولا يعتقد أنه يقدر على إيذاء الناس ، ويستطيع التصرف فى العالم من قبل نفسه بغير إذن الله ، واعلم أن كل شئ بيد الله وقدرته ، إلا أنه يمتحن عباده الصالحين ، البارين أحيانا فيسلط عليهم الأشرار ، ليميز بين المؤمن والمنافق وبين الموحد وغير الموحد ، فأحيانا يتأذى المتقون بيد الفساق ، والمسلمون بيد الكفار بإذن الله ومشيئته ، وهم

يصبرون عليها ويقاسونها ، فهكذا قد تنالهم المصيبة أحيانا من الجن والشياطين بإذنه فعليهم أن يصبروا عليها ويحتسبوا ثواب الله وأن لا يعتقدوا فيهم قدرة على التصرف ، وأن لا يظنوا أنهم يقدرون على إيذاء الناس وإن كان فيهم قدرة فالله هو الذى أقدرهم ، وثبت من هذا الحديث أن من اجتنب الشرك ولم يعتقد فى أحد القدرة على النفع والتصرف ، ولم يقدم النذور إلى أحد ، وخالف العادات والتقاليد السيئة فإن أصابته خسارة فى ماله أو ولده أو أصابه أذى من قبل الشياطين والجن فليصبر عليه وليثبت على التوحيد ، وليعتقد أن الله سبحانه وتعالى يختبره به . ومعلوم أن الله تبارك وتعالى يمهل الظالم أولا ثم يأخذه فيخلص المظلوم من يده ، فكذلك يأخذ الجن والشياطين على الميعاد ، وينجى الصالحين من إيذائهم .

وقد أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله « أى الذنب أكبر عند الله ؟ قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك » أى أن الله تبارك وتعالى رب كل شىء وإلهه ، وهو المالك له المتصرف فيه كيف يشاء وكل أمر بيده وقدرته ، يعلم كل شىء ، لا يخفى عليه شىء لا فى الأرض ولا فى السماء ، فلا ينبغى لأحد أن يصرف هذه الصفات أو شيئا منها لغيره فإنه من أكبر الذنوب ، وإن من يدعو غير الله لرفع البلاء وكشف الكربات ويعتقد أنه موجود فى كل مكان ويسمع كل شىء ، ويعرف كل شىء فهو شرك أكبر ، بل يجب عليه أن يعتقد أن الله تعالى ربه وخالقه فلا يحل له أن يستعين بغيره عند البلاء والمصيبة . ولو كان نبياً أو وليا أو غيره من خلقه ، وعليه أن يستعين بالله فى كل الأمور .

وقد أخرج الترمذى عن انس قال : « قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى يا ابن آدم : إنك لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لآتيتك بقرابها مغفرة» هذا الحديث يدل على أن من ارتكب ذنبا كثيرا وأتى بمعاصى كثيرة وجاء بالكبائر ،ولم يترك إثما من المآثم إلا جاء به ، ولكن لم يشرك أحدا مع الله لا فى حقوقه ولا فى صفاته ، فالله تعالى يغفر له جميع ذنوبه ويعفو عنه جميع زلاته ، وفيه دليل أيضا على أن جميع الذنوب والمعاصى تغتفر وتمحى ببركة التوحيد ، كما أن الأعمال الصالحة كلها تحبط بارتكاب الشرك وتبطل ، وهذا هو الحق لأن المسلم اذا لم يتخذ لله ندا ، بل جعله رباً وخالقاً واعتقد أن لا ملجأ إلا إليه ، وأنه لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد بغير إذنه وأمره ، فما يرتكب من الذنوب والمعاصى بعد هذه العقيدة فإنه من مقتضى البشرية أو من النسيان وهو على سبيل الغفران بمشيئة الله ،ودائما يخاف هو من الله تعالى ويخجل ويندم على مآثمه ومعاصيه ، والله تعالى ينزل رحمته على هذا الرجل ، جزاء توحيده .

وليعلم أن المقصرين فى العبادات إذا أخلصوا التوحيد لله فهم خير من العباد الذين يضلهم الشيطان فيشركون بالله ، كما أن الرجل الذى يقصر فى أداء حقوق الملك خير من الرجل الذى يثور أو يخرج عليه مع تملقه له ، فالأول نادم على تقصيره والثانى مفتر بخداعه ومنافق كبير .

الفصــل الثــانى

((تفنيــد الإشراك فى العلــم))

فى هذا الفصل آيات وأحاديث تدل على دحض الإشراك فى العلم قال الله تعالى **(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)** .

إن هذه الآية تدل على أن مفاتيح الغيب بيد الله لا يعلمها احد غيره وإن الله تبارك وتعالى قد جعل لعباده طريقة يطلعون بها على الأشياء الظاهرة مثلا جعل لهم عيونا ينظرون بها وآذانا يسمعون بها وأنفا يشمون به والسنة يذوقون بها وايادى يلمسون بها وعقولا يفهمون بها . وهذه القوى كلها بيدهم يستغلونها كيف يشاؤن ، فإذا أرادوا أن ينظروا إلى شىء فتحوا أعينهم ، وأما إذا أرادوا أن لا ينظروا إلى شىء فلا يفتحونها وإذا أرادوا أن يعرفوا طعم شىء ولذته أدخلوه فى أفواههم وإلا فلا . فثبت أن الله تعــالى قد أعطاهم مفتاحا للاطلاع على هذه الأشياء والوقوف عليها فالذى يكون بيده مفتاح فهو مخير أن يفتح القفل أو لا يفتحه ، فكذلك العثور على الأشياء الظاهرة بيد الإنسان . وأما علم الغيب فهو بيد الله تبــارك وتعالى ، لا بيد ولى ولا نبى ولا شهيد ولا ملائكة ولا إمام ولا غول ولا عفريت ولا جن ، وكذلك لم يمكن الله احدا من عباده من أن يعثروا على الغيب إذا شاؤا ، بل يخبرهم الله عز وجل احيانا عن أمور الغيب إذا أراد أن يطلعهم عليها وكثيراً ما اتفق أن النبى

ﷺ ابتغى أن يطلع على بعض الأمور ولكنه لم يظفر به ولم يقف عليه ، ولكن لما أراد الله تعالى أن يخبره به أخبره ، ومعلـوم أن المنافقين فى عصره ﷺ قد اتهموا عائشة زوجه بالزنا فكـان مشوشاً ومهموماً بهذا الخبر المؤلم ، وقد بحث أياما عن حقيقة هذا الخبر المحزن ولكن لم يقف على حقيقة الأمر فاشتد حزنا وهما ثم أخبره الله تعالى أن المنافقين كاذبون فى قولهم وأن عائشة رضى الله عنها بريئة ومنزهة عن هذا الاتهام ، فليعلم أن مفتاح الغيب بيد الله واختياره ولو كان النبى ﷺ عالماً بالغيب لم يحزن من هذا الخبر الكاذب المختلق ، فالآية تبين أن من يدعى علم الغيب فهو كاذب فى دعواه وكأنه يدعى الالوهية والعبودية لنفسه ، ومن يعتقد علم الغيب فى نبى أو ولى أو ملك أو إمام أو مرشد أو شهيد وكذلك فى منجم أو رمال فهو مشرك ومنكر لهذه الآية التى ذكرت من **قبل** .

وأما ما يظن من أن الرمال والمنجم والعراف إذا أخبروا عن بعض الأمور الآتية ويوافق إخبـارهم للواقع فيتحقق منـه أنه يعلم الغيب فهذا الاعتقاد ليس بصحيح لأنه يغلط فى أكثر أقواله وهى حدس وتخمين قد توافق القدر فتكون فتنة وكثيرا ما يتضح كذبه ، فثبت أن الغيب ليس فى اختياره ، وهكذا يكون حال الاستخارة والكشف والتفاؤل بالقرآن الكريم فإنه ليس فى شىء من حجج الإسلام من الكتاب والسنة ، وكثيرا ما يقع الخطأ والنسيان فيه ، **وأما ما يوحى إلى الأنبياء فلا يقع فيه الخطـأ لأنه من عنـد الله** تبارك وتعالى ، فالغيب بيد الله لا يعلمه إلا هو ، كما قال الله تعالى **(قل لا يعلـم من فى السـموات والأرض الغيـب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون)** .

قال الله تعالى فى هـــذه الآية مخاطبا للنبى ﷺ : أيها النبى قل للناس إن الغيب لا يعلمه أحد غير الله ، لا يعلمه الملك ولا الجن ولا الإنسان ولا غيره بدليل أن الناس جميعا يعرفون ويعتقدون أن الساعة تأتى يوما ما ويؤمنون بها ، ولكن لا يعلمون متى تأتى فلو كان علم الغيب بيدهم لوقفوا على إتيانها بالتحديد ، وقال الله تعالى : **(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير)** فالله تبارك وتعالى يعلم متى تقوم الساعة ومتى ينزل المطر ، ويعلم ما فى الأرحام من الذكر والأنثى ويعلـــم ماذا يكسب الإنسان فى المستقبل ، ويعلم أين يموت فلان لأنه عليم بالمغيبات وخبير بكل شىء والعلم بالمغيبات مختص بالله عز وجل لا بغيره من الخلائق وهكذا حال الساعة ، ومجيئها أمر معروف ومتيقن ولكن مع ذلك لا يعلم أحدنا متى تأتى فكيف يعلم حدوث الأشياء غيرها كالفتح والهزيمة والصحة والمرض ، لا يعلم أحد متى تمطـــر السماء ومتى ينزل الغيث مع أن له أوقاتا جعلها الله جل وعلا علامة لمجيئه ، وكثيرا ما ينزل المطر فى هذه الأيام المختصة له ، والأنبياء والأولياء والملوك والأطباء جميعا يحرصون على نزول المطر فلو كان عندهم علم الغيب لوقفوا على نزوله وأما الأشياء التى ليس لها وقت معلوم فكيف يطلع عليها أحد كالموت والحياة وإعطاء الأولاد ، والغنى والفقر ، والفتح والهزيمة وكذلك لا يعرف أحد ما فى بطن المرأة من ذكر أو أنثى كامل أو ناقص ، جميل أو دميم ، ومعلوم أن الأطبـــاء والدكاترة يكتبون فى كتبهم أحـــوال رحم المـــرأة ، ولكنهم لا يعرفون ما يشتمل عليه رحمها فكيف يعلمـــون ويعرفون

الأشياء المخفية فى الإنسان كالنية والعزم والإيمان والنفاق ، ومن لا يعلم ما يصير اليه غدا فكيف يقدر على أن يطلـــع على احوال غيره ، فالآية المذكورة يدل دلالة واضحة على أنه من يدعى علم الغيب لنفسه أو لغيره سوى الله فهو كاذب فى دعواه .

ومعلوم أن الغيب ينقسم قسمين : غيب مطلق لا يعلمه إلا الله كالأشياء التى ذكرت فى الآية وغيب نسبى قد يطلع الله عليه من يشاء من عباده فهو غيب بالنسبة لمن غاب عنه ، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، قال الله تعالى **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)** والذين يدعون غير الله كالأنبياء والأولياء وأهل القبور هم لا يستطيعون أن يسمعوا دعاءهم إلى يوم القيامة ، وقد رأينـــا بعض الناس يدعو الأولياء والصلحاء من بعيد ظانا انهم يسمعون دعاءهم ، ويطلب منهم أن يدعو الله له ليقضى حاجته ثم يظن انه لم يشرك بالله ، فهذا الظن باطل ، والذى يفعل ذلك مشرك ، وكذلك من يشد الرحال إلى المقابر والمشاهد ثم يدعو أهلها ويقدم إليهم حاجته ليقضوها يأتى بالشرك الجلى ، وقد أخبر الله تعالى فى هذه الآية بأن الذين يدعون من دون الله لا يسمعون الدعاء بل هم عنه غافلون .

وقال الله عز وجل (**قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون** والنبى ﷺ كان خاتم الأنبياء والرسل وقد رأى منه الناس معجزات بهرت العقول وتلقوا منه

اسرار الدين والشرائع ، وقد حاز السلف الولاية والقداسة باتباعه وإطاعته ﷺ فخاطبه الله تعالى قائلا له : يا محمد قل للناس : إن كل الأمور مفوضة إلى الله عز وجل ، وقل لهم : إنى لا أعلم الغيب وليس لى اطلاع على شيء من ذلك إلا ما أطلعنى الله عليه ، فلو كنت أعلم الغيب واعلم متى أموت لعملت عملا صالحا واجتهدت فى طرق الخير كلها واجتنبت الأمور التى تكون سببا للمصائب ، فلا يصيبنى ضرر ، بل أجتنب أسبابه قبل وقوعه، لكن انا نبى صادق ونذير من عذاب الله وبشير للمؤمنين بجنات النعيم . فعلم من هذه الآية الكريمة أن الأنبياء والرسل من أفضل الخلق وأشرفهم ووظيفتهم أن يدعوا الناس إلى الهداية ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، لكنهم لا يقدرون على أن يتصرفوا فى العالم ويفعلوا ما يشاؤن ، كالإحياء والإماتة وحل المشكلة ، وقضاء الحاجة والفتح ، والهزيمة وغيرها من الأمور التى تختص بالله تبارك وتعالى ، وكذلك هم لا يقدرون على أن يصيروا الغنى فقيرا والفقير غنيا ، أو يؤتوا الملك أحدا وينزعوه من أحد ، أو يمرضوا أحدا ويشفوا غيره ، والكبار والصغار كلهم سواء عند الله فى هذه الأمور وعاجزون بين يديه بحيث لا اختيار لهم فى شيء.

« أخرج البخارى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت جاء النبى ﷺ فدخل حين بنى على فجلس على فراشى كمجلسك منى فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر إذ قالت إحداهن : «وفينا نبى يعلم ما فى غد» فقال : «دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين » وكانت الربيع امرأة من الأنصار

جاءها النبى ﷺ عند نكاحها وجلس عندها وكانت لديها بنات صغار فجعلن يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار ويعددن محاسن قتلاهن الذين قتلوا فى غزوة بدر ، فلما رأين النبى ﷺ قلن : وفينا نبى يعلم الغيب وما يحدث غدا ، فنهاهن عن ذلك وقال : قلن بالذى تقلن قبل ، وفى الحديث إشارة بليغة إلى أن النبى ﷺ لا يعلم الغيب ، ولو كان يعلم الغيب لما نهاهن عن مثل هذا الكلام ، فمن يعتقد أن الأنبياء والأولياء والرسل يعلمون الغيب حتى نبينا ﷺ يعلمه فاعتقاده فاسد وقوله كذب صرف ، لا أصل له فلأجل ذلك ما أحب فى مدحه شعرا تنشده الجوارى ينسبن إليه شيئا من علم الغيب ، بل نهاهن عن مثل هذا القول .

« وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : من أخبرك أن محمدا ﷺ يعلم الخمس التى قال الله تعالى فيها « إن الله عنده علم الساعة » فقد أعظم الفرية فثبت من هذا الحديث أن من يعتقد أن الخمس التى ذكرت فى نهاية سورة لقمان يعلمها النبى ﷺ فقد كذب كذبا صريحا وأعظم الفرية عليه ، لأن علم الغيب لا يعلمه أحد إلا الله ، وقد سبق تفسيره فى أول هذا الفصل .

« وأخرج البخارى عن أم العلاء قالت قال رسول الله ﷺ والله لا أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم .

وفى هذا الحديث دليل بين على أن ما يعامل الله عباده به فى الدنيا وفى الآخرة وفى القبر من خير وشر فلا يعلم بذلك أحد ،

ولو كان هو من الأنبياء والأولياء والرسل ، وأما من أطلعهم الله على بعض الأمور من الوحى أو الإلهام أو المشاهدة فهذا شيء آخر ، ولا مدخل لهم فيه ، فإنهم لا يقدرون على أن يطلعوا على الأمور الغيبية أكثر مما أخبرهم الله تبارك وتعالى به .

— * * —

الفصـــل الثالث

(دحض الإشراك فى التصرف)

فى البداية نذكر فى هذا الفصل الآيات والأحاديث التى ترد على الإشراك فى التصرف ، قال الله تعالى **(قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون) .**

فإذا سألنا أحداً عمن له هذا الشأن العظيم ومن بيده كل شيء ومن يفعل ما يشاء ؟ ليقولن : إن هذا الشأن لله تبارك وتعالى ، فاستبان أن من يستعين بغير الله فهو يشرك به ، وهذا الأمر باطل محض ، وأيضا تبين من هذه الآية أن الكفار الذين كانوا فى عهد النبى ﷺ كانوا يعتقدون أن الله تبارك وتعالى لا يعادله أحد من خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ، وليس له ند ولا كفؤ ، ولكنهم كانـــوا يعتقدون أن الأوثان والأصنام شفعاؤهم عند الله ، ويستطيعون أن يتصرفوا فى العالم ، فبهذه العقيدة الفاسدة صـــاروا مشركين ، فكذلك من يعتقد أن فلانا يستطيع أن يتصرف فى الكون ، فقد أشرك، والتصرف فى الكون هو مشاركة للرب فى ملكه ، وقد قال الله تعالى:

(قل لا أملك لكم ضراً ولا رشدا قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن اجد من دونه ملتحدا) .

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ فى هذه الآية بأن يقول للناس إنه لا يملك لنفسه شيئا من الضر والنفع ، فعلى كل من آمن بالله

ودخل فى دينه أن لا يتجاوز فى اعتقاده حده ، وأن لا يتكل على شفاعته اتكالا كاملا ويغفل عن الأعمال الصالحة ، وعليه أن **يعتقد** أنه لا ينقذه من عذاب الله وعتابه إلا بإذنه وأمره ، فإن شفاعة الرسول واقعة حقا ولكنها لا تكون إلا بعد أن يأذن له الرب جل وعلا بالشفاعة ويرضى عن المشفوع له كما قال (**من ذالذى يشفع عنده إلا بإذنه**) وقال (**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**) . فالآية تدل على أن من اتكل على شفاعة الأولياء والشهداء ونسى الله تبارك وتعالى ولم يعظم أوامره وأحكامه فقد مال عن الطريق السوى وضل ، وهذا هو خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ يخشى الله دائما ليلا ونهارا فى المجالس والخلوات وكان يرجو رحمته أبدا فما بال الأولياء والشهداء فى جنابه سبحانه تعالى ؟!! .

وقال الله تعالى (**ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون**) .

وهذه الآية تنادى بوضوح وصراحة أن من يعبدهم المشركون غير الله ويعظمونهم تعظيمهم لله فليس لهم دخل فى التصرف فى الكون وليس لهم قدرة فى إعطاء الرزق ولا يستطيعون أن ينزلوا مطراً من السماء ، ولا أن ينبتوا شيئا من الارض ، ولا تحصل لهم القدرة من أى نوع ،فاعتقاد المخرفين بأن الأنبياء والأولياء والشهداء يقدرون على التصرف فى الكون ، وقولهم إنهم التزموا الصمت تعظيما لله وتبجيلا له وإيمانا بقدر الله وقضائه ولو شاؤا لتصرفوا فى جميع الأمور ، اعتقاد باطل كله ، والحق أنهم ليس لهم يد فى تصرف العالم لا بالفعل ولا بالقوة ، وقد قال الله تعالى **(ولا تدع**

من دون الله مـــا لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فـــإنك إذا من الظالمين) .

فالآية تخاطب الرسول ﷺ ويدخل المؤمن تحت خطابهــا بطريق أولى بأنه لا يجوز له أن يدعو مالا ينفعه ولا يضره ، ومن يفعل ذلك فهو من الظالمين لأن نداء غير الله لا ينفع صاحبه ولا يضره شيئا لأنه يثبت لغيره تعالى ما هو مختص به سبحانه وتعالى من الصفات كالتصرف فى الكون وإعطاء الرزق وغيره .

وقال الله تعالى (**قـــل ادعـــوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهـــو العلى الكبير) .**

أما إذا استمد شخص بأحد عند نزول المصيبة واستغاث به عند النوازل فأغاثه هو وفرج عنه هذه الكرب فيكون هذا على عدة طرق فإنه إما أن يكون هذا الرجل سيدا ومالكا أو شريكا له فى هذه السيادة وله عنده نفوذ وسلطة كما يقبل الملك مشـــورة أمرائه وعماله لأنهم أعوانه ومساعدوه وأعضاء مملكته فإذا غضبوا عليه وسخطوا يقع الخلل والفساد فى نظام المملكة والبلاد ، أو شفيعا إليه فهو يقبل شفاعته طوعا وكرها كما تشفع زوجة الملك وبنته إليه فهو يعمل بشفاعتهما لأن بينه وبينهما علاقة الزوجيــة والبنوة والقرابة ، وهذه العلاقة تضطره إلى قبول شفاعتهما ،

ولكن الذى يدعوه الناس سوى الله عز وجل ويستغيثون به عند حلول النوازل لا يدخل فى أى صنف من الأصناف المذكورة فإنه ليس بسيد وليس له تأثير فى الأرض ولا فى السماء وليس هو شريكا لله تبارك وتعالى لا فى ذاته ولا فى صفاته ، وليس هو ركنا من أركان مملكته وكذلك ليس هو معينا له ولا مساعدا بحيث أنه يقبل شفاعته وتوصيته على رغم منه بل تكون حالته بين يدى الله بحيث أنه يرعب ويدهش ويتحير لا يعلم شيئا ويسقط فى يده ، فيسأل بعضهم بعضا ماذا قال الرب ؟ قالوا : الحق ، فهو يؤمن بهذا القول ويصدقه ، وهكذا تكون حال الملائكة عند سماعهم خطاب الله جل وعلا ، تأخذهم الصعقة هيبة وإجلالا له ثم عند الإفاقة يسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ؟ فيقولون جميعا : الحق فكيف يقدرون على حماية غيرهم عند الله عز وجل ونصرتهم له بين يديه . واعلموا أن كثيراً من الناس يغترون بشفاعة الأولياء والرسل عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأنهم قد نسوا الله عز وجل فعليهم أن يعرفوا حقيقة الشفاعة ومعناها فان الشفاعة أنواع : (أحدها) إذا ثبتت سرقة على أحد عند الملك فتوسل أحد وزرائه إليه فيقبل شفاعته ويعفو عن ذنبه لأنه من أكبر أعضاء مملكته فما يريد الملك أن يسخطه ويغضبه وتسمى هذه الشفاعة بشفاعة الوجاهة ، ومثل هذه الشفاعة لن تقبل فى جناب الملك العلام أبدا ، ومن اعتقد أن الأولياء والأنبياء يشفعون إليه بدون إذنه فقد أشرك شركا جليا ، وأنه ما عرف معنى الشفاعة وحقيقتها وما قدر الله حق قدره . (الثانى) إنه قد يوسط للسارق بعض الأمراء إلى الملك لئلا يعاقبه

ولا يعذبه فيقبل هذه الشفاعة ولا يعاقب اللص فهى تسمى بشفاعة المحبة ، ولا يمكن مثل هذه الشفاعة أيضا فى جناب الله تبارك وتعالى ، ومن يثبت مثل هذه الشفاعة لله تبارك وتعالى فهو أيضا مشرك وضال كما سلف من قبل .

وإنما يكرم الله بعض عباده فيلقب بعضا بالخليل وبعضا بالكليم وبعضا بالمكين وبعضا بروح القدس وبعضا بالروح الأمين، ومع ذلك فالإله إله والسيد سيد والعبد عبد ، ولا يستطيع احد من عباده أن يخرج من عبوديته فهؤلاء كلهم يرجون رحمته ليلا ونهارا ويخافون من بطشه كل حين . (الثالث) أن السرقة قد تحدث من بعض الأشخاص ولم تكن هى سجية له ، بل صدر منه هذا الفعل السيء من ضعف البشرية فندم عليه كثيرا ولم يزل يخاف من بطش الملك ومؤاخذته ليل نهار . ويعترف بأنه مذنب ومستحق للعقاب ، فلا يلجأ إلى أى أمير وإلى أى وزير فيرق له قلب الملك ويحاول أن لا يعاقبه على هذه الجريمة ولكن احترام قوانين المملكة يلجئه إلى معاقبته فيتفرس ذلك منه بعض الأمراء والوزراء فهو يشفع له إليه فيوافقه الملك على هذه الشفاعة فيقبل شفاعته ويعفو عنه ويصفح . فتسمى هذه بشفاعة الإذن ، فمثل هذه الشفاعة تباح وتقبل فى جناب الملك العلام ، فالأنبياء والأولياء يشفعون هذه الشفاعة فى جناب الله عز وجل ، والشفاعة التى ذكرت فى الكتاب والسنة للأنبياء والرسل هى هذه الشفاعة ، ولا تكون إلا بإذن الله وأمره ، فيجب على جميع الناس أن لا يدعوا أحدا غير الله ولا يخافوا من أحد سواه ، ويعتقدوا أن لا ملجأ

إلا إليه ولا يعتمد على حماية غيره تعالى لنفسه ، بل يرجو رحمته ويخاف من عذابه لأنه تعالى غفور رحيم ، يفرج عنه جميع كربه ويغفر برحمته جميع ذنوبه ويشفع من يشاء ، فعلينا أن نفوض جميع أمورنا إليه سبحانه وتعالى لأن كل شيء بيده وقدرته يفعل ما يشاء .

وقد أخرج الترمذي عن ابن عباس قال « كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وهذا يعني أن شأن الله تبارك وتعالى ليس كشأن ملوك الدنيا ؛ بحيث لا يمكن لأحد أن يتشرف بمقابلته وتقديم أمره إليه إلا بتوسط الأمراء والوزراء وتوسلهم ، بل هو ملك حقيقي ، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وهو رحيم ، كريم ، فهم لايحتاجون في التقرب إليه إلى التوسط ، وكل من يذكر الله فإنه تعالى يذكره ، وكل من يعتقد أن الأولياء والأنبياء شفعاؤهم إلى الله بغير إذنه ويقربونهم إليه زلفى فهذا اعتقاد باطل لا يصح ، ويلزم جميع المسلمين أن لا يدعوا أحدا غير الله وأن لا يستعينوا بالأولياء والأنبياء لرفع حوائجهم عند النوازل والبلايا لأن الله تعالى لم يمكنهم أن يغيروا القدر والقضاء ويعطوا الأولاد ويزيدوا في حياة

أحد من الناس ومن يعتقد مثل هذه العقيدة فهى باطلة غير صحيحة، وإن الأولياء والأنبياء كلهم مفتقرون إليه تعالى فى جميع الأمور فضلا عن أن يتصرفوا فى الكون .

« وقد أخرج ابن ماجة عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ إن قلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد أهلكه ومن توكل على الله كفاه الشعب» .

وإذا وقع أحد فى داهية عظيمة ونازلة شديدة فوسوس الشيطان فى قلبه أن يدعو فلانا من الأنبياء ويستعين بفلان من الأئمة أو يقدم نذورا إلى بعض الأولياء فجرى هو خلف هذه الأمور واتبع فى ذلك خطوات الشيطان فإن الله تبارك وتعالى لا ينظر إليه نظرة الرحمة بل يلعنه ويبعده عن رحمته ولا يعده من عباده الصالحين البارين فهو يضل ويشقى ولا يجد سبيلا إلى صراط مستقيم ، فيصير بعضهم دهريا وبعضهم ملحدا وبعضهم مشركا ، ومن يتوكل على الله سبحانه وتعالى فيعده الله من عباده المقربين ويكشف له سبيل الهداية والرشد فيثلج قلبه بالطمأنينة والهدوء والسكون ، وما قدره الله لأحد من النعم والنقم والمصائب والدواهى فهو يصيبه لا محالة ، وأما من يتبع خطوات الشيطان فهو يكون فى قلق وحزن ؛ وأما المتوكل على الله عز وجل فهو يكون فى سكينة وطمانينة .

« أخرج الترمذى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل الملح وحتى يسأله شسع نعليه إذا انقطع » .

وهذا الحديث يدل على أنه يلزم المؤمن أن يسأل الله جميع الأشياء سواء كان هذا الشيء حقيرا أو عظيما حتى إذا انقطع شراك نعله فلا يسأل أحدا أن يصلحه ويجبره بل يسأل الله عز وجل أن يعينه على إصلاحه وجبره ، وقد ثبت أن الأئمة والأولياء والأنبياء كلهم لا يقدرون على أن يرزقوا أحدا شيئا ولو كان صغيرا أو كبيرا.

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال لما نزلت (وانذر عشيرتك الأقربين) دعا النبى ﷺ أهل بيته وقرابته جميعا فقال يا بنى كعب ابن لوى أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم من الله شيئا أو قال فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ويا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ويا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ويا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ويا فاطمة أنقذى نفسك من النار ، سلينى مالى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا » .

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن القرابة أو الرحم لا تنفع أحد فلذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن ينذر أقرباءه من عذاب النار لأنه لا يقدر أن ينفع أحدا ولو كان هو من ذوى قرابتــه وأسرته بشفاعته يوم القيامة إلا بعد أن يأذن الله له فينبغى لنــا أن لا نغتر بشفاعة الأولياء والأنبياء فإنها لا تكون بدون إذن الله عز وجل يوم القيامة .

— * * —

الفصل الرابع :

(رد الاشراك في العبـــادة)

قال الله تعالى (**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**) .

ومعنى الآية أن لا يعبد الانسان غير الله تبارك وتعالى ، فقد وقع الخلاف فى معنى العبادة بين المسلمين والكفار منذ زمن نوح عليه الســـلام فقال المسلمون يجب على جميع الناس أن لا يعبدوا غير الله لأنه خالقهم ورازقهم فهو يستحق أن يعبد ، ويجب عليهم ان لا يعظموا غـــيره تعظيمهم إياه وقال الله تبـــارك وتعـــالى (**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واســـجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون**) .

أى لا يحل لرجل أن يسجد للشمس ولا للقمر بل يجب عليه أن يسجد لله الذى خلقه وخلق الشمس والقمر .

فإن قيل كان الناس فى الزمان الغابر يسجد بعضهم لبعض كما سجد الملائكة لآدم عليه السلام وسجد يعقوب عليه الســـلام لابنه يوسف عليه السلام فلو سجد بعضنا لبعض من العلماء والأولياء فلا باس به ولا حرج ، وهذا القول لا يصح وهذه العقيدة باطلة لا تصح ، لأن الناس فى عهد آدم عليه السلام كان يتزوج البعض

بأخته وهذا النكاح كان مباحا فى شريعة آدم عليه السلام ، وأما فى شريعة نبينا ﷺ فليس بمباح ، ومن يتمسك بمثل هذه الأمور عليه أن يعتقد حل نكاح الأخت ويعمل به .

والمعروف أننا مكلفون بشريعة نبينا المطهرة لا بشريعة سالفة .

ويجب على العبد أن يمتثل لأمر الله وينتهى عما نهاه عنه ولا يتردد قليـــلا فى أمره لأن الله عز وجل كان قد أباح التزوج بالأخت والسجدة لغيره فى الشريعة السالفة ، وقد حرمها فى شريعتنا ، فعلينا أن نعمل بشريعة نبينا محمد ﷺ لأنها قد نسخت جميع الشرائع الغابرة ومن لم يعمل بالشريعة المحمدية بل عمل بشريعة سابقة فهو يكون مبتغيا سبيلا غير سبيل المؤمنين .

وقال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مـــع الله أحدا وأنه لمـــا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنمـــا أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا) .

يعنى إذا دعا أحد من المسلمين الله تبارك وتعـــالى بصدق وإخلاص وإنابة فيظن بعض الجهال أنه من المقربين إلى الله تبارك وتعالى ، وبيده كل شيء يقدر على أن يهبنا ما يشاء ويسلب منـــا ما يشاء فالناس يلتفون حوله رجاء أن يعطيهم ما يشاء ، فعلى هذا العبد الصادق المخلص أن يصدع لهم بأن الله تبارك وتعالى هو الذى يستحق أن يدعى فى المصائب والدواهى لا غـــيره وهـــو الذى يفرجها ويكشفها ويعطى من يشاء ما يشاء ، فمن يعامل هـــذه المعاملة أحدا غير الله فقد أشرك . وكذلك يجب عليه أن يعلن بأنه

يبرىء نفسه من هذه الأوصاف التى خصها الله لنفسه ، فالقيام بالخشوع والخضوع والدعوة عند النوازل والذكر والتسبيح هذه هى أمور تختص بالله سبحانه وتعالى لا بغيره ومن يفعل ذلك مع غير الله فقد أشرك .

وقال الله تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .

أى قد خصص الله تعالى عدة أمكنة تعظيما لنفسه ، منها الكعبة المشرفة ، وعرفة ، ومزدلفة ، ومنى ، والصفا والمروة ، ومقام إبراهيم ، والمسجد الحرام ومكة المكرمة ، فأشرب الله تعالى قلوب المسلمين حب هذه الأمكنة المقدسة وشوقهم لزيارة هذه البقاع المطهرة ، وليس أحد من المسلمين إلا يحن قلبه ويشتاق إلى زيارة الكعبة المشرفة والطواف حولها فالناس يقصدونها من أنحاء بعيدة وأصقاع نائية ركبانا ورجالا ، ويتحملون مشاق السفر ومتاعبه ويذبحون الهدى هناك باسمه سبحانه وتعالى ويقدمون إليه نذورهم ويطوفون حول الكعبة ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويعظمونه التعظيم الذى أمر به ويستحقه ، فمنهم من يقبل الحجر الأسود ، ويستلم الركن اليمانى على وفق طريقة الرسول ﷺ ومنهم من يدعو الله عز وجل أمام الكعبة المشرفة بكل خشوع وخضوع وبكل ابتهال وتضرع ، ومنهم من يتضرع إلى الله تبارك وتعالى فى تلك المواقف

المعظمة ، ومنهم من يذكر الله تعالى ويعتكف هناك يعبده ليلا ونهارا ، فثبت أن مثل هذه الأعمال الصالحة مختصة بتعظيم الله عز وجل ، وأن الله تعالى يرضى بمثل هذه الأعمال الحسنة ، وتدرك بهذه الأمور سعادة الدنيا والآخرة ، ولا يحل لنا أن نعظم مكانا غير هذه الأمكنة مثل هذا التعظيم فلأجل ذلك ينبغى لنا أن لا نشد الرحال إلى قبور الأولياء والأنبياء والأئمة وأن لا نتقدم إليها بالنذور وأن لا نطوف حول القبور وأن لا نستمد من أصحاب القبور ولو كانوا من الصلحاء والأنبياء وأن لا نتوقع أنهم ينفعوننا إذا نعظمهم تعظيم الإله عز وجل ويضروننا إذا تركنا تعظيمهم واحترامهم فهذه العقيدة باطلة تؤدى إلى الشرك .

قال الله تعالى **(أو فسقا أهل لغير الله به)** قد حرم الله تبارك وتعالى لحم الخنزير والميتة فكذلك حرم ما أهل به لغير الله مثلا إذا أعلن أن هذه البقرة للسيد أحمد الكبير ورفع الصوت عليها أو هذه الشاة للشيخ سدو (اسم رجل) فإنه قد أهل به لغير الله وهو حرام بلا شك ولا مرية ونوع من الشرك .

وقال الله تعالى **(يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** .

فالآية تدل دلالة واضحة على عبادة الله وحده لا شريك له وخلع عبادة ما سواه من الأوثان والطواغيت . وفيها دلالة على أن التى يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هى زعم منهم وتسمية من

تلقاء أنفسهم وليس لهم على ذلك مستند من عند الله ولذا قال **(ما أنزل الله بها من سلطان)** أى حجة وبرهان ، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كلها لله وقد أمر عباده قاطبة بأن لا يعبدوا إلا إياه ، وفى عصرنا هذا يعتقد بعض المسلمين أن فلانا من الأولياء يقدر على إنزال المطر وإنبات الحبوب والفلات وأن فلانا يستطيع إعطاء الرزق . ويعتقد البعض أن فلانا بيده شفاء المرضى فيدعوهم عند المصائب ويستغيث بهم فى النوازل ، فهذا الإعتقاد أيضا شرك .

ثم إن أصل الدين هو الامتثال لأمر الله والإمتناع عما منعه ، ومنه عدم تقديم قول أحد من خلقه على قوله تعالى فمن يقدم قول الامام والفقيه على قول الله وقول رسوله أو يستند إلى قول أستاذه ومرشده ويترك الكتاب والسنة أو زعم أن الشرع ليس من وحى الله وأن الرسول ﷺ ما ينطق إلا من تلقاء نفسه وقد قال الله جل وعلا ردا على هذه العقيدة **(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)** فهذا الاعتقاد باطل ومعتقده مشرك ، بل الله سبحانه وتعالى هو الحاكم حقا والنبى فى الحقيقة هو عبده ورسوله ومنفذ أمره ، فمن وافق قوله الكتاب والسنة فيقبل وإلا فلا .

« أخرج الترمذى عن معاوية قال قال : رسول الله ﷺ من سره أن يتمثل له الرجال قياما وقعودا فليتبوأ مقعده من النار » .

وفى هذا الحديث دليل على أن القيام للتعظيم يختص بالله ولا يجوز لرجل أن يقف بين يدى رجل خاشعا ، مخبتا لا يتحرك ولا

يلتفت يمينا ولا شمالا بل يقف عنـــده كالصنم ، ولا شـــك أن الذى يستحسن هذا الفعل تعتبر جريمته هذه أعظم عند الله تعالى لأنه نازع الرب فى شىء من حقوق ألوهيته وربوبيته بعمله واعتقاده لأن القيام عبادة أوجبها الله على عباده فلا يجوز صرفها لغيره ومن اراده لنفسه فهو داخل فى هذا الوعيد .

أخرج الترمذى عن ثوبان قال قال : رسول الله ﷺ لا تقـــوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان » .

وهذا الحديث يشعر أنه لا تأتى القيامة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين أى يعملون بمثل أعمالهم وقد وقع ما أخبر به ﷺ ، فعبدت قبائل من أمته ﷺ الأوثان . واعلمـــوا أن الشرك الأكبر انواع وأقسام منها أن الإنسان إذا اتخذ صورة لشىء ثم عبـــده ، فيقـــال لذلك بالعربية « الصنم » وأن الإنسان اذا عبد مكانا أو شجرا أو خشبا فيسمى ذلك بالعربية بالوثن ، ويدخل فيه القبر وصورة ضريح حسين وغيره ، وبعض المسلمين يعظمه ويوقره ويقدم له النذور وهذا الفعل أيضا حرام بل هو شرك ينافى توحيد الله عز وجل ، وقد أخبر النبى ﷺ أن الشرك قد يقع فى المســـلمين عند قرب القيامة فلابد من وقوعه فيهم ، ولا شك أن تعظيـــم القبور وتقديم النذور إلى أهلها شرك عند الله تعالى وعند الشارع عليه السلام فيجب عـــلى المسلمين ان يتحاشوا مثل هذه الأعمـــال السيئة أو ما يفضى إلى الشرك .

« أخرج مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله (**هو الذى أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظره على الدين كله ولو كـره المشركون**) أن ذلك تاما (١) قال :«إنه سيكون من ذلك ما شاءالله ثم يبعث الله ريحاطيبة فتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة خـردل من الإيمـان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آباءهم » ولما سمعت عائشة رضى الله عنها هذا الحديث من النبى ﷺ قالت إنى كنت ظننت من مفهوم الآية (**هو الذى أرسل رسوله**) أن الإسلام يكون غالباً أبداً غـير مغلوب أصلا،فكيف تعبد اللات والعزى؟ فقال النبى ﷺيكون الإسلام غالبا إلى وقت معلوم وأجل مسمى ، ثم يرجع الناس إلى دين آباءهم وأجدادهم قبل القيامة إلا من عصمه الله عز وجل ، ويعبدون الأوثان والأصنام بخبر الصادق المصدوق ﷺ فلا يعظمون الله ولا يعظمون رسوله ولا يطيعون الله ولا يطيعون الرسول إلا أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم من التقاليد السيئة والعادات القبيحة ، ويستندون إلى أعمالهم فيقعون بهذا العمل فى الشرك . وأيضاً ثبت من الحديث أن الشرك قد يظهر فى آخر الزمان ظهورا فاحشا ، وقد أرى فى هـذا الزمان أن المسلمين يعظمون قبور الأئمة والأولياء والأنبياء ويستعينون بهم ويستمدون منهم فى تفريج الكرب ، وإعطاء الرزق وغيره فهذا أيضا شرك لأن هذه الأمور مختصة بالله عز وجل لا بغيره .

« أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ

---

(١) هكذا فى صحيح مسلم وأما فى الحميدى فهو «تام» بالرفع .

يخرج الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يقرون معروفا ولا ينكرون منكرا فيستمثل لهم الشيطان فيقول الا تستجيبون فيقولون فماذا تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم » أى فى آخر الزمان عند قرب القيامة يموت خيار الناس فلا يبقى على وجه الأرض إلا شرارهم ويكونون فى سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوات والفساد كالطير وفى ظلم بعضهم على بعض والسفك والقتل كأخلاق السباع ، لا يميزون المعروف من المنكر ولا الخبيث من الطيب ويأكلون أموال الناس ظلما بالباطل ، فيأتيهم الشيطان ويقول لهم ألا تستجيبون ، فيقولون ، فماذا تأمرنا ، فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فلا يعملون بالكتاب والسنة ولا يطيعون الرسول ولا يتبعونه ، بل يتبعون أهواءهم وشهواتهم ، وقد يبسط الله رزقهم إذ ذاك فيعيشون فى عيش رغيد ويحيون فى نعم كثيرة ، وكلما زادهم الله رزقا ، وأرغد فى عيشهم يرتكبون الأعمال الشركية ، ويعبدون الأوثان ظنا بأنها تزيد فى رزقهم وتفيئهم ، فهذا الزعم أيضا من الشرك ، ويود الشيطان أن يعدلهم عن العقيدة الصحيحة ويضلهم عن الصراط السوى ضلالا بعيدا .

فيجب على جميع المسلمين أن يتجنبوا مثل هذه الأعمال الفاسدة والعقائد الباطلة ، نعوذ بالله منها ، فإنها تؤدى بهم إلى الشرك .

« وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :
لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة .
وذو الخلصة هو بيت كان فيه صنم لقبيلة دوس فخرب بأمر النبى ﷺ .

ومعنى الحديث أن الناس فى آخر الزمان يرتدون إلى جاهليتهم فى عبادة الأوثان فتطوف نسوة بنى دوس حول ذى الخلصة فترتج أعجازهن ، مضطربة ألياتهن كما كانت عاداتهن فى الجاهلية ، وأيضا يشعرنا الحديث أن الطواف حول المقابر والأوثان من أعمال الشرك ومن تقاليد الكفار وعاداتهم ، فعلى المسلمين قاطبة أن يجتنبوا أمثال هذه الأعمال الفاسدة فإنها من الشرك وهو من أكبر الذنوب التى لا تغتفر فأعاذنا الله منه .

— * * —

الفصل الخامس

(رد الإشراك فى العـادات)

يؤتى فى هذا الفصل بآيات وأحاديث تدل على أنه يجب على الإنسان أن يعظم الله تبارك وتعالى تعظيمه الذى أمر به ويستحقه ، فلا ينبغى له أن يعامل أحدا سوى الله تبارك وتعالى مثل هـذه المعـاملة .

قال الله عز وجل **(إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شـيطانا مريدا لعنـة الله وقـال لأتخـذن من عبـادك نصيبا مفروضـا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهـم فليبتكن آذان الأنعـام ولآمرنهم فيلغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشـيطان إلا غرورا ، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) .**

والآية تدل على أنهم لا يدعون إلا إناثا ، والحقيقة أنهم لا يدعون إلا شيطانا طريدا ، وهو يأمرهم بذلك ويحسنه ويزينه لهم وهم إنمـا يعبدون الشيطان فى نفس الأمر ، وقد لعنه الله وطرده من جواره ، والشيطان قد أضلهم عن طريق الحق ، وزين لهم ترك التوبة وأعد لهم الأمانى وغرهم فيشققون آذان الأنعـام ويجعلونها سمة ، وأمرهم بتغيير خلق الله ، ويعد أولياءه بأنهم هم الفائزون فى الدنيا والآخرة ، وهو كاذب ومفتر فى وعـده ، فمن اتخذه وليـا

فقد خسر خسرانا عظيما ، ويكون مصير أوليائه جهنم يوم القيامة ، يدخلون فيها فلا يجدون عنها خلاصا ولا مناصا ومعنى الآية أن من يدعو غير الله تعالى فمنهم من يدعو من دونه إناثا ومنهم من يدعو ملائكة ، فهذا العمل باطل ووسوسة من الشيطان ، وهو يريد أن يضل الناس عن توحيد الله عز وجل ، وكذلك يوسوس فى صدورهم أن يهلوا بفلان من الأولياء والشهداء والأئمة ، ويشقق آذان الأنعام ويعلقوا الخيوط فى أعناقها أو يجعلوا سمة فى ظهورها ، على اسم فلان وفلان ، وكذلك يلقى فى قلوب بعضهم أن يرسل ضفيرة لا يحلقه ولا يقصره أو يثقب أذنه على اسم بعض الأولياء وأهل المقابر والأقطاب فهذا العمل بأسره باطل ووسوسة من الشيطان ، وهذا الأمر كله تغيير لطريق الله وسنة رسوله لأن الشيطان عدو للناس يعدهم وعدا كاذبا وهو فى الحقيقة لا يقدر على شىء ، والإنسان يتخذ سبيله ويترك قول الله وقول رسوله ثم يصيبه ما كتبه الله من المصائب والبلايا وهو لا يغنى عن قدر الله شيئا وهذا العمل يوقع الإنسان فى الشرك ويكون سبب دخوله فى جهنم .

وقال الله تعالى **(هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعو الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) .**

فالآية تدل على أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وجعل له زوجته وجعل بينهما مودة ورحمة فلما حملت المرأة وصارت ذات ثقل بحملها دعوا الله تعالى أن يرزقهما ولدا صالحا فيكونن

من عباده الشاكرين فإذا رزقهما ولدا بارا يشكران الله تعالى بل يذهبان به إلى قبر بعض الأولياء والأئمة ويقدمان لهم النذور شكرا على ولادة هذا الولد الذى رزقهما الله تعالى إياه ووهبه ، ومنهم من يرسل ضفائر أولاده لا يقصرها ولا يحلقها ، ومنهم من يلبس حلقة الحديد فى أرجلهم ومنهم من يسميهم بنبى بخش (أى هبة نبى) وبعلى بخش (أى هبة على) وبإمام بخش (أى هبة إمام) على اسم بعض الأولياء .

واعلم أن الله تبارك تعالى مستغن عما يفعلونه من تقديم النذور إلى أهل القبور لأن هذه النذور تقدم لغير الله ويقصد بها مرضاة الولى أو صاحب القبر وهذا من أفعال الشرك نهى الله عنه وحرمه .

وقال الله تعالى (**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون**) .

وفى هذه الآية زجر وتوبيخ لمن ابتدع طريق البدعة والكفر والشرك وجعل لله شركاء من خلقه وهو خالق كل شىء . ومعنى الآية أن الحرث والأنعام كلها لله تبارك وتعالى وأنه خلقها وذرأها فى الأرض ، فالمشركون يجعلون لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وكذلك هم يجعلون لغير الله منها حظا وما جعلوه نصيبا لغير الله يعظمونه تعظيما أكثر مما جعلوه لله عز وجل فقد ارتكبوا من هذا التقسيم ذنبا كبيرا ؛ لأن الله تعالى هو خالق كل شىء ورب

كل شىء ومليكه وله الملك وكل شىء فى تصرفه وتحت قدرته ومشيئته لا إله غيره ولا رب سواه .

وكذلك فى زماننا هذا يجعل بعض المسلمين نصيبا لغير الله من الأولياء والشهداء وغيرهم ويعظمونه تعظيما أكثر من تعظيمهم لنصيب الله تعالى فهذا الفعل باطل لا يصح وهو نوع من الشرك .

وقال الله تعالى **(وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون)** .

وفى هذه الآية قال الله عز وجل إن المشركين يقولــون من عند أنفسهم إن هذه الانعام والحرث حرام لا يأكلها إلا من نشاء وكذلك لا يركبها أحد ولا يذكرون اسم الله عليها ، وهذا افتراء على الله تعالى فيجزيهم الله على هذا الافتراء والكذب أسوأ جزاء ، ويظنون أن الله تبارك وتعالى يرضى بمثل هــذه الأمور المختلقــة المزورة وهم يثابون عليها فهذه العقيدة باطلة لا تصــح وقال الله تعالى **(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون)** (١) .

---

(١) البحيرة : التى يمنع درها للطواغيت فلا يحليها أحد من الناس . السائبة : التى كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شىء. الوصيلة : الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر . الحام : فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه دعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شىء ويسموه الحامى .

وفى هذه الآية أن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لم يشرعها الله تعالى ولا أمر بها ولا هى قربة عنده لكن المشركين قد افتروا ذلك وجعلوه شرعا وقربة يتقربون بها إليه فى زعمهم وليس فى ذلك نفع لهم بل هو وبال عليهم وهـذا الأمر باطـل ما أمرهم الله به . والآية تدل أيضا على أن من جعل من المسلمين حيوانا لأى واحد وجعل العلامة عليه ، وخصص البقر لأى أحد مثـلا والغنم للآخر وغـيره فهذه العـادات والرسوم كلها باطلة تفضى الإنسان إلى الشرك بل هى شرك وعين فعل المشركين الذين نزلت فيهم الآية وقال الله تعالى **(ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)** أى لا تفتـروا عـلى الله الـكذب بحيث أن تقولوا من تلقاء أنفسكم هذا حلال وهذا حرام فهذا لا يجوز ، لأن تحريم شىء وتحليله من شأن الله تبارك وتعالى ، فمن أحل شيئا من عند نفسه أو حرمه فهو افتراء على الله سبحانه وتعالى . ومعنى الآية أن من يقول لا ينبغى لأحد أن يأكل هـذا الطعام ولا ينبغى له أن يلبس ثوبا أحمر فى شهر محرم الحرام ، وإذا قدم نذرا إلى حسين رضى الله عنه فلابد أن يكون فيه كذا وكذا من الخضروات ، وأن يكون فيه حناء ومسحوق الأسنان ، وأن لا يجوز أن تأكل هذا النذر من كان لها زوج ثان ، وأيضا لا يجوز أكله لرجل وضيع ومذنب ، فمن يزعم مثل هـذا الزعم فهو مفـتر ومبتلى بالشرك ومتدخل فى ملك الله وحكمه وأنه قد شرع من عند نفسه شرعا جديدا غير شرع الله عز وجل .

أخرج الشيخان عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى لنا رسول

الله صلى الله عليه صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ؟ قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى ، فأما من قال مطرنا لفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب .

و الحديث دليل على أن من يعتقد أن للكواكب أثراً فى الكون وهو ينشىء المطر كما يزعم بعض أهل الجاهلية يعتقد فقد كفر ويعده الله تبارك فى عباد الكواكب والنجوم ، ومن يعتقد أن المطر لا ينزل إلا من فضل الله ورحمته ، وليس للكواكب تأثير فى العالم ، فالله تعالى يجعله فى عباده الصالحين .

ومن يزعم أن هذا اليوم مشئوم ومنحوس ، والتاريخ الفلانى فيه شئوم ليس بسعد وميمون ويؤمن بقول المنجم ويصدقه فهذا الاعتقاد من أمور الشرك والإيمان بتأثير الكوكب من وظائف عبادها .

« أخرج رزين عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ من اقتبس بابا من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر ، المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر » .

إن الله عز وجل قد ذكر فى كتابه النجوم والكواكب وجعلها زينة للسماء وجمالا لها، وأيضا ذكر أنه جعلها رجما للشياطين ولم يذكر أن لها تأثيراً فى العالم ، فمن يأتى المنجم والكاهن باعتقاد أن له اطلاعا على الغيب ويؤمن بكلامه ويصدقه فقد كفر .

« أخرج مسلم عن حفصة زوج النبى ﷺ قالت قال النبى ﷺ من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل صلاته أربعين ليلة » .

والعراف هو الذى يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما ، فمن يدعى أن له اطلاعا على الغيب فيأتيه ويسأله عن شىء ثم يصدق قوله فلا تقبل له صلاة أربعين يوما ، لأنه أشرك والشرك يحبط ثواب جميع العبادات والأعمال ، ويدخل أيضا فى هذا الوعيد المنجم والرمال والكاهن وغيرهم .

وظاهر الحديث يدل على أن الوعيد يترتب على مجىء العراف وسؤاله سواء صدقه أو شك فى خبره ، ولا يخفى أن هذا الوعيد فى السائل فما يكون حكم المسئول فى الوعيد والزجر ؟ « أخرج أبو داود عن قبيصة أن النبى ﷺ قال العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت » .

ومعنى الحديث أن التشاؤم بالطيرة هذا من عبادات أهل الجاهلية « أخرج أبو داود عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك » .

كان أهل الجاهلية كثيرا ما يتشاءمون فقال النبى ﷺ ردا عليهم عدة مرات : إن هذا شرك وليجتنب الناس هذه الأمور الشركية .

« أخرج ابو داود عن سعد بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لا هامة ولا عدوى ولا طيرة وإن تكن الطيرة فى شىء ففى الدار والفرس والمرأة » أى لو فرض وجود الطيرة فى شىء ففى

هذه الثلاثة ، وكانت العرب تزعم فى الجاهلية أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول أسقونى فإذا أدرك بثأره طارت ، ويقال لها هامة ، فأبطل النبى ﷺ ذلك الاعتقاد ، فعلم أن من يزعم أنه إذا مات الرجل يعود إلى الدنيا فى صورة حيوان فهذا الزعم باطل لا أصل له ، وأيضا كان العرب يظنون أن بعض الأمراض (الحكة والجذام مثلا) يتعدى بنفسه فأبطل النبى ﷺ هذه العقيدة أشد الإبطال وأعلمهم أن الأمر ليس كذلك ، وأن الله هو الذى يمرض بإنزال الداء ويشفيه ، وقد اعتاد الناس إذا أصيب ولد بمرض الجدرى فيمنعون ولد آخر من الدخول إليه مخافة أن يصيبه هذا الداء فهذا الأمر باطل لا يصح ، وكذلك يزعمون أن هذا الأمر فى حق فلان مشئوم ليس فيه سعد ، وذاك فى حق فلان يمن وسعد ، فرد عليهم النبى ﷺ هذا الزعم وقال لو فرض وجود النحس فى شىء لكان فى هذه الثلاثة ، المرأة ، والفرس والدار ، إلا أنه لم يثبت وجودها فى هذه الأشياء الثلاثة ، وأيضا كان بعض المسلمين فى الهند يعتقدون إذا كان البيت ضيقا من ناحية الغرب وفسيحا من ناحية الشرق وإذا كان البياض فى جبهة الفرس وإذا كانت المرأة ذربة اللسان فهذا شؤم فيها ، وهو باطل قد أبطل النبى ﷺ هذه العقيدة ، وهذه الجهالة ، فعلى المسلم أن يجتنب مثل هذه العقائد الفاسدة ويحترز منه ، وإذا اشترى بيتا أو فرسا أو تزوج إمرأة أو اشترى جارية فعليه أن يسأل الله خيرها وخير ما فيها ويستعيذ به من شرها وشر ما فيها ولا يتشاءم بشىء فإنه من عقيدة أهل الجاهلية .

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، إن الصفر دواب فى البطن (وهى دود) وكان أهـــل الجاهلية يعتقدون أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها أعدى من الجرب ، فهذا باطـــل ، وبين النبى ﷺ إبطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك ، وأيضا كانوا يعتقدون أن شهر صفر شؤم ينزل البلاء فى هذا الشهر لا سيما فى ثلاثة عشر يوما من أوله فلا ينبغى أن يعمل عمل هذا الشهر فرد النبى ﷺ على هذا الزعم الباطل الذى يؤدى إلى الشرك .

« أخرج ابن ماجه عن جابر أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة فقال كل ، ثقة بالله وتوكلا عليه » .

وفى هذا الحديث دليل على أن المرض لا يتعدى بنفسه ، والداء والصحة كله بيد الله عز وجـــل ، وفيـــه ترغيب فى التوكل على الله .

« أخرج أبو داود عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله ﷺ أعرابى فقال جهدت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال فاستسق الله فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال النبى ﷺ سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ثم قال ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد ، شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله إن عرشه على سمواته هكذا وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليأط به أطيط الرحل بالراكب » أى جاء أعرابى النبى ﷺ وقال أجـــدب الناس وقحطوا فهلكت الأموال وجاع العيال فأجعلك شفيعا إلى الله تعالى وأجعـــل الله

شفيعا إليك فأعظم ذلك النبى ﷺ وجعـل يسبح حتى عرف أثر الغضب فى وجوه أصحابه من قول الأعرابى لأن هذا القـول لا يليق بالخالق سبحانه وتعالى وإن شأنه أعظم من ذلك ولا يستشفع به على أحد هو رب كل شىء ومليكه ، والخير كله بيده لا مانع لمـا أعطى ولا معطى لما منع ولا راد لمـا قضى ، إن الأوليـاء والأنبياء فى جنابة أقل رتبة من الذرة ، وعرشه يعجز من عظمته بل هو بقدرته وعظمته يحمل العرش ، ويمسك السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه وأما حال بعض الناس فى عصرنا هذا فيقول أنا اشتريت ربى بدرهم ، ويقول غيره أنا أكبر من ربى سنتين، ويقول البعض إن برز ربى غير صورة مرشدى فلا أنظر إليه وقال قائل هـذا البيت :

دل از مهر محمـد ريش دارم رقابت با خدائى خويش دارم

اى إن قلبى مجروح فى حب النبى ﷺ ، وأنا أنافس الله عز وجل فى هذا الحب والعشق ، وقال الرجل . ع

با خدا ديوانه باش وبا محمد هوشيار

أى صر مع الله سبحانه وتعالى فاقد رشد ووعى ، وصر مع محمد ﷺ عاقلا ، واعيا نبيها .

ويفضل البعض حقيقة محمد ﷺ على حقيقة الألوهية فالعياذ بالله من هذه الكلمات الشركية ، ونعم ما قال الشاعر ردا على هذه العقيدة الباطلة .

از خـــدا خـــواهیم توفیق ادب　　بی ادب محروم گشت از فضل رب

یقـــول أنا أسأل الله تعالى أن يوفقنا للأدب ، لان مسيء الأدب يحرم من فضل الله ورحمته ، وفى الحديث دليل على تحريم قراءة هذا الورد « يا شيخ عبد القادر جيلانى شيئا لله » لانها تدل عـلى إساءة الأدب فى جناب الله جل وعلا ، تفوح منها رائحة الشرك ، فعلى المسلم أن يحترز من مثل هـــذه الأوراد التى تؤدى إلى الشرك .

« أخـــرج مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » يدل هذا الحديث على أن أحب الأسماء وأجودها عند الله عبد الله وعبد الرحمن وما ضاهاهما كعبد القدوس وعبد الخالق لأن معنى عبد الله وعبد الرحمن غـــلام الله وغـــلام الرحمن ، والإنسان فى الحقيقة عبد لله تبارك وتعالى . فيجب على المسلم إذا ولد له فلا يسميه إلا مثل هـــذه الأسامى التى هى أحب إلى الله وأحسنها .

« أخرج أبو داود والنسائى عن شريح بن هانى عن أبيه أنه لما وفد رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبى الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال إن الله هو الحكـــم وإليه الحكم فلـــم تكنى أبا الحكم » .

والحديث دليل على النهى عن التكنية بأبى الحكم لأن الحكم فى الحقيقة هو الله تبارك وتعالى وأنما انحصرت هذه الصفة فيه ، وفى الحديث أن النبى ﷺ سأل أبا الحكم عن كنيته فأجاب أن

قومى إذا اختلفوا فى شىء أتونى فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين بحكمى فقال النبى ﷺ : هـــل لك من ولد ؟ فقال : لى شريح ، ومسلم ، وعبد ، قال من أكبرهم ؟ قال قلت : شريح . قال : فأنت أبو شريح . ولا ينبغى أيضا أن يسمى أحد بملك الأملاك وملك الملوك ، وسلطان السلاطين وشاهنشاه ، فإن النبى ﷺ قال « لا مالك إلا الله » فمن يسمى بهذا الاسم فقد كذب وفجر ، ويكون هذا الرجل أذل الناس عند الله يوم القيامة .

« أخـــرج فى شرح السنة عن حذيفة عن النبى ﷺ قال لا تقولوا ما شاء الله وشـــاء محمد وقولوا ما شاء الله وحده » ونهى النبى ﷺ عن ذلك لما فيه من التسوية بين الله وبين رسوله ولكن قال قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد لأنه لو قال أحدنا ما شاء الله وشاء محمد لكان هذا القول شركا ، ولو سأل أحد أحدا ما فى قلب فلان أو متى يتزوج فلان ، وكم ورقة فى هذا الشجر وكم كوكبا فى السماء ؟ فلا يجيب بأن الله ورسوله أعلم ، لأن هذه الأمور تتعلق بالغيب والغيب لا يعلمه أحد سوى الله فعلى هذا الرجل أن يقول الله أعلم ، ولكن إذا سئل عن مسألة دينية فقال الله ورسوله أعلم فلا بأس بهذا القول لأن الله تعالى أخبر رسوله جميع مسائل الدين وأمر عباده أن يمتثلوا لأمره ﷺ .

« أخرج الترمذى عن أبى عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من حلف بغـــير الله فقد أشرك » منـــع النبى ﷺ المسلمين من الحلف بغير الله لأنه شرك وأجمع العلماء أن الحلف بغير الله لا يجوز .

« أخرج مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم » .

فنهى النبى ﷺ فى هــذا الحــديث عن الحلف بالآباء فإنه حلف بغير الله والحلف بغير الله فى الحقيقة شرك .

« أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال إن الله ينهاكم أن تحلفــوا بآبائكم ، من كان حالفــا فليحلف بالله أو ليصمت » قال ﷺ إن الله تعــالى ينهى عباده عن الحلف بالآباء والأجداد ، ومن أراد الحلف بالله عز وجل أو يسكت ، لأن السكوت خير له من الحلف بالآباء والأجداد وهــو من أمور الشرك .

« أخــرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال من حلف فقال فى حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » .

وفى الحديث نهى عن الحلف بغير الله ، فمن سبق لسانه وحلف باللات والعزى فليتداركه بكلمــة التوحيد وليتب إلى الله عز وجــل .

« أخرج أبو داود عن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال هل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله ﷺ أوف بنذرك فإنه لاوفاء لنذر فى معصية الله والنذر لغير الله معصية فلا إيفاء به »

والحديث دليل على المنع من الوفاء بالنذرإذا كان فى المكان الذى فيه وثن من أوثان الجاهلية أو يكون هناك الاجتماع المعتاد من اجتماعهم لان هذا نذر معصية ونهى النبى ﷺ عن ذلك احترازا من التشبه بالكفار فى أفعالهم وصنيعهم .

« أخرج أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان فى نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه يا رسول الله يسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم » .

أى اعبدوا ربكم بتخصيص السجدة له فإنها غاية العبودية، ونهاية العبادة « وأكرموا أخاكم » أراد به النبى ﷺ نفسه الكريمة تواضعا وتنبيها على أنه بشر مثلهم فلا يجوز له العبادة والسجدة ، وينبغى أن يعظموه تعظيما يليق له بالمحبة القلبية والإكرام المشتمل على الإطاعة ولا يعظموه مثل تعظيمهم لله تبارك وتعالى او أكثر منه . وأما سجدة البعير للنبى ﷺ فكان خرقا للعادة وواقعا بتسخير الله وأمره فلا مدخل له ﷺ فى فعله . وعلم من الحديث أن الصلحاء والأولياء والشهداء والانبياء هؤلاء كلهم من عباد الله المقربين ، كلهم عباد وعاجزون بين يدى الله عز وجل ، وإخواننا فى الدين، وهم معظمون ومحترمون ، أمرنا بطاعتهم ، ونحن أقل رتبة منهم فعلينا أن نعظمهم تعظيما يجدر بشأنهم ولا نخرجهم من لباس البشرية إلى لباس الالوهية فإنه شرك ، فالسدانة والعكوف بالقبور أيضا لم يأمر به النبى ﷺ فهذا الأمر محظور لا يجوز .

« أخرج أبو داود عن قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم

يسجدون لمرزبان لهم فقلت لرسول الله ﷺ أحق أن يسجد لـــه فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إنى اتيت الحيرة فرايتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت أحق بأن يسجد لك فقال لى أرايت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له فقلت لا ، فقال لا تفعلوا ، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء ان يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من حق » .

وفى الحديث دليل على تحريم السجدة لغير الله ، وإن كان هو وليا أو نبيا أو غيرهما ، فلأجل ذلك قال النبى ﷺ «لا تفعلوا» إظهارا لعظم الربوبية وإشعارا لمذلة العبودية ، فالسجدة مختصة بالله تبارك وتعالى لأنه حى لا يموت وملكه لا يزول ، وإنك إنما تسجد لى الآن مهابة وإجلالا لى ، فإذا توفانى الله تعالى وصرت رهين رمس ودفين قبر امتنعت عنه ، فلا ينبغى لأحد أن يسجد لأحد إلا للحى الذى لا يموت . وأيضا ثبت أن السجـــدة لا تجوز لأحد كائنا من كان ، لا للحى ولا للميت ، ولا للقبر ، لأن كل حى يصير إلى الموت لا محالة يوما ومن طرأ عليه الموت لا يكون إلهـــا فكيف يجوز له السجدة التى تختص بالله جل وعلا .

« أخرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولا يقل العبد لسيده مولاى فإن مولاكم الله أن لا ينبغى للمالك أن يقول لعبده يا عبدى ويا أمتى لأن الإنسان كلهم عبيد الله وكل النســـاء إماءه ، وأيضا لا يجوز للعبد أن يقول لسيده مولاى ، لأن المولى فى الحقيقة هو الله تبارك وتعـــالى ، فكيف يحـــل أن يسمى أحد

بعبد النبى ، ذلك إساءة الأدب فى جناب الله عز وجل ومن أمور الشرك التى يجب الاحتراز منها .

« أخرج الشيخان عن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله . والإطراء هو المبالغة فى المدح والغلو فى الثناء قال النبى ﷺ لأمته لا تبالغوا ولا تغلوا فى مدحى وثنائي كما غلت النصارى فى مدح عيسى عليه السلام حتى ادعوا فيه الربوبية والألوهية ، وإنما أنا عبد الله ورسوله فصفوني كما وصفنى به ربى ، وقولوا عبد الله ورسوله لأن الرسالة أكبر مجد وشرف للبشر وكل المراتب دونها وأقل منها ومع ذلك ليس له شىء من خصائص الربوبية والألوهية ، ولكن الخرافيين والقبوريين أبوا وخالفوا أمر النبى ﷺ وتجاوزوا الحد فى الثناء عليه وبالغوا فى مدحه حتى قالوا فيه ما قال النصارى فى عيسى عليه السلام بأن الله عز وجل ظهر فى زيه فهو من ناحية بشر ومن ناحية إله ، وكذلك نسب بعض الكاذبين والمفترين إلى النبى ﷺ أنه قال أنا أحمد بلا ميم (أى أنا أحد) وأنهم قد ألفوا عبارات ضخمة مملوءة بالأكاذيب والخرافات ، والعقائد الباطلة وسموها بخطبة الافتخار ونسبوا هذه الخطبة إلى على رضى الله عنه « سبحانك هذا بهتان عظيم » .

« أخرج أبو داود عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله فقلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال قولوا قولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » وفى الحديث نهى عن قول

« أنت سيدنا » لأن السيد فى الحقيقة هو الله تبارك وتعالى ،ونهاهم أن يقولوا « وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا » وأما كلمة السيد فلها معنيان الحقيقى والمجازى ، فالسيد نظرا إلى المعنى الحقيقى فهو الله عز وجل لأنه يملك نواصى الخلق ويتولى أمرهم ويسوسهم ، ونظرا إلى المعنى المجازى فهو يطلق على الإنسان كما قال النبى ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أو كما قال للأنصار « قوموا إلى سيدكم » فالنبى ﷺ باعتبار هذا المعنى سيد العالم ، وهو على أرفع رتبة عند الله جل وعلا ، والناس مفتقرون إليه فى تعلم الدين وأخذ الشريعة المطهرة منه ، ولكنــه مع هــذه المراتب الرفيعة لا يستطيع أن يتصرف فى العالم شيئا ، لأن التصرف فى العالم من شأن الرب وخصائصه تعالى ، فثبت أن السيد إذا أطلق عليه الله تعالى فهو يكون فى منزلة المالك والمولى والرب ، ولا بمعنى الذى يطلق على المخلوق .

« أخرج البخارى عن عائشة أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت فى وجهه الكراهية قالت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رســوله ماذا أذنبت فقال رسول الله ﷺ ما بال هذه النمرقة قالت قلت اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله ﷺ إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم وقال إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة » أى أكثر المشركين يعبدون الصــور والأصنام فيكرهها الملائكة والأنبياء ويعذب صانعهما يوم القيامة،وثبت، أن بعض الجهال يعظمون صور الأنبياء والأئمة وصور مرشديهم

ويتبركون بها ويحتسبونها فهو ضـــلالة وشرك ، وايضـــا ثبت أن الملائكة لا يدخلون بيتا فيه تصـــوير ، فعلى المســـلم ان لا يعلقوا التصاوير فى بيوتهم وأن يحترزوا منه .

« أخرج البيهقى عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل أحد والديه ، والمصورون ، وعالم لا ينتفع بعلمه » .

والحديث دليل على أن المصور يكون أشد الناس عقوبة يوم القيامة لأنه يضاهى بخلق الله ويشاركه تعالى فى هذا الفعل فذنبه هذا أكبر الذنوب .

« أخرج الشيخان عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو يخلقوا حبة أو شعيرة » والمصور لما يجعل الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من بهيمة وانسان صار مضاهيا لخلق الله وأساء الأدب فى جنابه تعالى وكأنه ادعى الربوبية والحال انه لا يقدر على أن يخلق شيئا من حبة ولا شعير .

« أخرج رزين عن انس قال قال رسول الله ﷺ إنى لا أريد أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنيها الله تعالى أنامحمد بن عبد الله ورسوله » وكان النبى ﷺ لا يحب الإطراء والغلو فى مدحه كما يحب الأمراء والرؤساء ومعلوم أن المحب يغلو ويتجاوز الحد فى مدح المحبوب ، فلأجل ذلك أمر النبى ﷺ أمته شفقة عليهم أن لا ترفعونى فوق منزلتى فهو يكون سوء أدب فى جنابه تعالى ، وقال أنا محمد

لست بخالق ولا رازق وقد ولدتنى أمى كما ولد جميع الإنسان فى هذا العالم ، وأنا عبد الله وأفتخر بهذه النسبة إلا أن الله عز وجل شرفنى بمنصب الرسالة وبعثنى لأعلم الناس دين الإسلام .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ألف ألف تحية وسلام ، اللهم أنت علمتنا معنى التوحيد والشرك ومعنى « لا إله إلا الله » وأخرجتنا من طائفة المشركين إلى حزب الموحدين فعلمنا من فضلك معنى البدعة والسنة واجعلنا من أتبـــاع نبيك .

آمين يارب العالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

— * * —

من مطبوعات دار الصحوة

١ ـــ عصر الالحـــــاد
تأليف ممحد تقى الدين الأمينى
٢ ـــ ثقـــافة المســلم
د / عبد الحليم عويس
٣ ـــ الوقت فى حيــاة المســلم
د / يوســف القرضاوى
٤ ـــ الرســـول والعلــم
د / يوســف القرضاوى
٥ ـــ صلاح الأمــة على هــدى السنة
٦ ـــ مؤشرات حــول الحضارة الإسلامية
دكتـــور / عماد الدين خليل
٧ ـــ الدولة والســلطة فى الإسلام
دكتور / محمــد معروف الدواليبى
٨ ـــ قضية البعث الإسلامى المنهج والشروط
تأليف / وحيــد الــدين خـــان
مراجعة وتقديم د / عبد الحليم عويس
٩ ـــ أزمة المثقفــين تجــاه الإسلام
دكتور / محسن عبد الحميد
١٠ ـــ المختار فى الرد على النصارى مع دراسة تحليلية تقويمية (للجاحظ)
تحقيق ودراسة دكتور / محمد عبد الله الشرقاوى

١١ ـــ من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث
محمـــد الغـــزالى
١٢ ـــ الإسلام كمـــا ينبغى أن نؤمن به
دكتور / عبـــد الحليم عويس
١٣ ـــ ضوء السارى الى معرفة رؤية البارى عز وجل
لأبى شامة (رحمه الله)
تحقيق دكتور / احمد عبد الرحمن الشريف
١٤ ـــ الوجيز فى الإقتصاد الإسلامى
دكتور / محمد شوقى الفنجرى
١٥ ـــ واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام
تاليف / وحيد الدين خان
١٦ ـــ أمهـــات المؤمنـــين
احمد حسين شرف الدين
١٧ ـــ أحـــاديث صريحـــة مع إخواننا العرب والمسلمين
أبو الحسن الندوى
١٨ ـــ نفحـــات الإيمـــان بين صـــنعاء وعمـــان
أبو الحسن الندوى
١٩ ـــ العالم الإسلامى اليوم
محمـــود شـــاكر
٢٠ ـــ ادب الصـــحوة الإســـلامية
واضح رشيد الحسنى الندوى
٢١ ـــ الأدب الإسلامى وصـــلته بالحياة
مـــع نماذج من صدر الإسلام
محمـــد الرابـــع الحسنى الندوى
٢٢ ـــ تطهير الإيمان من مداخل الشيطان
تأليف العلامة / محمد اسماعيل الشهيد (رحمه الله)

٢٣ ــ شريعة الإسلام فى الجهاد
أبو الأعلى المودودى
٢٤ ــ الإنســـان القرآنى
وحيد الدين خـــان
٢٥ ــ سر تأخر العرب والمسلمين
محمد الغـــزالى
٢٦ ــ دعوة للأصالة والخروج من التبعية
انـــور الجنـــدى
٢٧ ــ الرفيق إلى البيت العتيق
د / محمد رافت سعيد
٢٨ ــ القول السديد فى كشف حقيقة التقليد
العلامة / محمد أمين الشنقيطى
٢٩ ــ حماية الإسلام للمرأة
د / محمد بن سعد الشويعر
٣٠ ــ الأضحية أحكامها وفلسفتها التربوية
عبد المتعال الجبرى
٣١ ــ رفع الإلتباس عن بعض الناس
العلامة ابو الطيب شمس الحق العظيم آبادى
٣٢ ــ الحضارة الغربية الوافدة واثرها فى الجيل المثقف
أبو الحسن الندوى
٣٣ ــ انعام المنعم البارى بشرح ثلاثيات البخارى
للشيخ / عبد الصبور بن الشيخ عبد التواب الملتانى
٣٤ ــ إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام
الشيخ احمد بن محمد الاسدى المكى

٣٥ ـــ الذريعة إلى مكارم الشريعة
للراغب الأصفهانى
تحقيق د / أبو اليزيد العجمى
٣٦ ـــ تربية الإنسان المســـــلم
حسن ملا عثمان
٣٧ ـــ القرن الخامس عشر الهجرى الجديد
فى ضوء التاريخ والواقع
أبو الحسن الندوى

دار الصحوة ... وهذا الكتاب

لم تقم داز الصحوة لتكون مجرد دار نشر تجارية ، بل قامت لتحقق هدفا إسلامياً بالدرجة الأولى ... وهذا الهدف - بإيجاز - هو الأخذ بيد المسلمين لفهم الإسلام فهماً حقيقياً نابعاً من مصادره الأصلية ... ولفهم التحديات التى تواجه المسلمين ...

ولفهم الأسلوب الأمثل والأقوم فى مواجهة التحديات .

وأخيراً ... لقد قامت دار الصحوة لترفع من مستوى الإنسان المسلم روحياً وثقافياً ... حتى يكون منسوب المسلم الفكرى والأخلاق أعلى من منسوب الحضارة الحديثة ... وبالتالى يكون المسلم أهلاً لقيادة الحضارة وفق سنة الله الكونية التى لا تمنح قيادة سفينة الحق إلا للراشدين النابهين المخلصين ... ولن تمنحها أبداً لغيرهم ...

وهذا الكتاب ... خطوة من خطوات دار الصحوة ... فى هذا الطريق .

دار الصحوة

حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين
شارع جمال عبد الناصر
القـاهرة